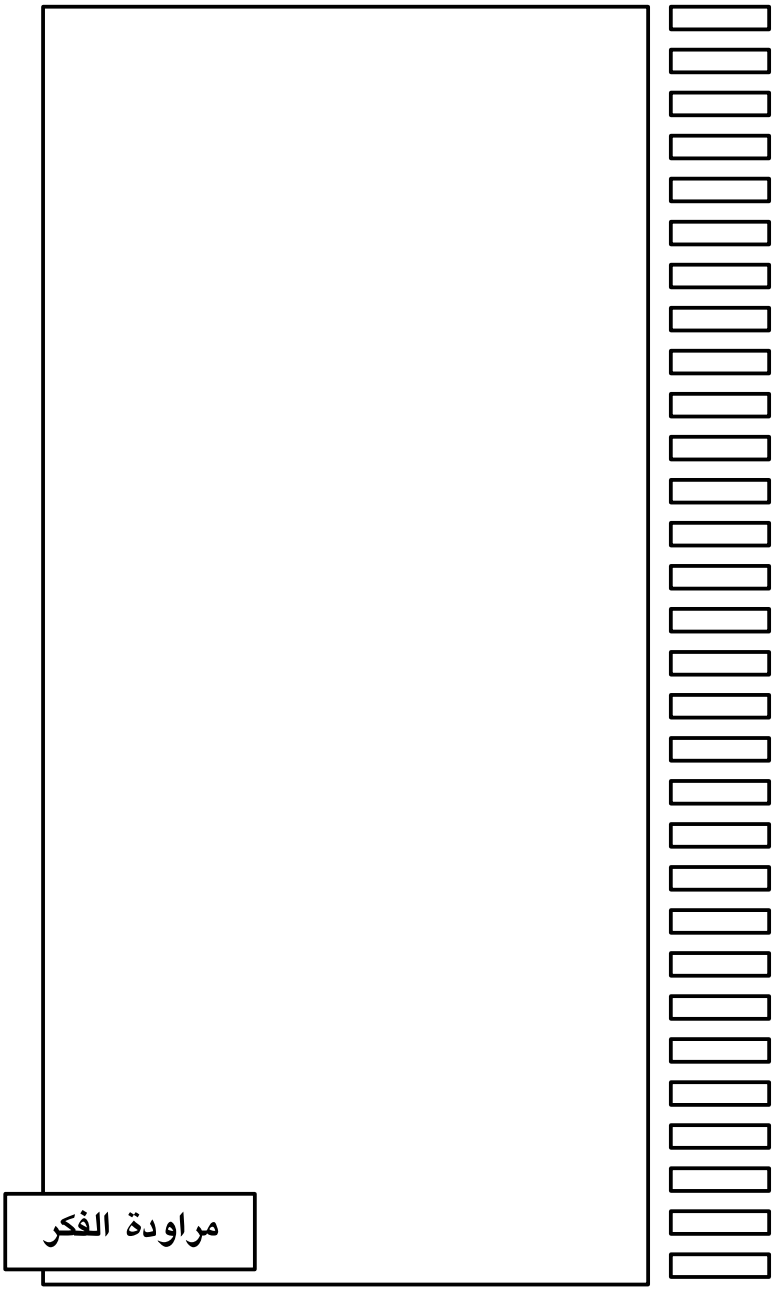
مراودة الفكر

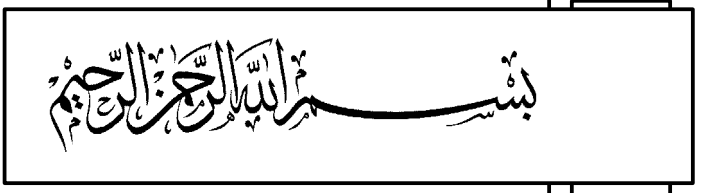
بسم الله الرحمن الرحيم

مراودة الفكر

د. علي بن حمزة العُمري

www.ALOMAREY.net

Email: Ali@4shbab.net

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

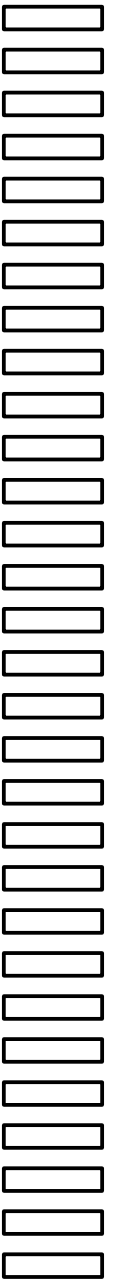

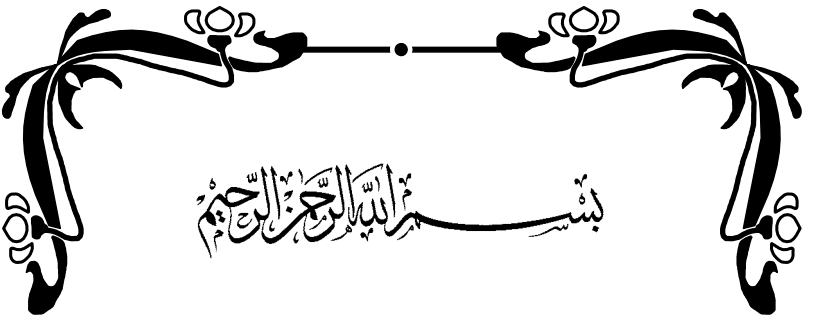

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيد المرسلين نبينا محمد ﷺ.

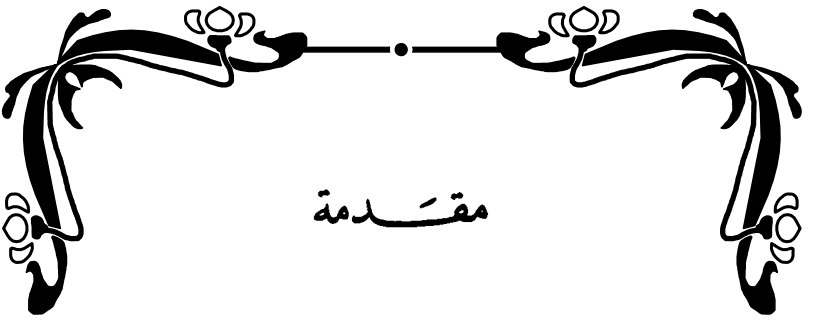

مقـــدمة

إنني مؤمن تمام الإيمان أن من أهم ما ينبغي على صانع الحضارة، والإصلاح في الأرض أن يكون على مستوى عالٍ في النظر الفكري.

ومَن تفحَّص سير رجالات التاريخ الذين رووا الحياة بفيض علومهم، وثاقب فهومهم، وبدائع استنباطاتهم، وأسس منهجياتهم، وما أسهموا به من تحريك الأمة نحو الإنتاج والإبداع والنهضة، لما شكَّ لحظة واحدة أن وعيهم الفكري ما كان غائباً في مسيرتهم!

وكنت قد كتبت في مقدمة كتابي «قضايا فكرية معاصرة» ما منيت به الأمة عبر قرون متلاحقة من حروب وإحن وتراجع محزن على مستوى القيادات والفقهاء وروّاد الأمة! والتي لم تذق الأمة حينها طعم الراحة والحرية فترات متطاولة بسبب غياب الوعي والحضور الفكري.

وما تجدد حالات العنف اليوم، واستمرار التسيب

الأخلاقي، هو لعمرو الله نتيجة مباشرة للانقطاع المبتور عن فهم كتاب الله، في سنن بناء الأمم وخسرانها، واستثمار مسخرات الكون وتعطيلها، وما يبنى على ذلك من بناء شرعي، ووعي فكري، وصلاح عملي.

ولست هنا بحاجة إلى إعادة موروثات الأزمة بين الإسلاميين، فضلاً عن غيرهم، فالكتاب في مضمونه كاف لهذا!

ولكنَّ المهم أن أقول في هذه المقدمة: إن هذا الكتاب ليس مجرد تأملات أو مقالات، أو آراء، بل هو أفكار من القديم والحديث للنهضة والسعي للشهود الحضاري.

ولعل هذه المراودة تحمل جوانب من التأثير والمراجعة والمداعبة والمقاومة في آنٍ واحد!

أسأل الله أن يجعل أقلامنا سهام حق، تنطق بأرواح المحبة، وتصيب مقاتل التجديد.

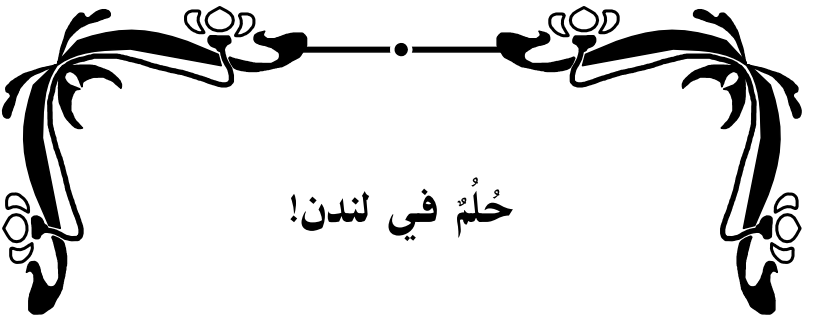

حُلُمٌ في لندن!

أحلامي واسعة، ولا حدود لها، ولعل هذا أحد أسباب تعقيد مرضي كما أخبرني الطبيب الاستشاري في لندن!

ولكن ما علاقة الحُلُم الذي يتفاعل في ساعة استرخاء العضلات والخروج من دائرة المساءلة بحالي؟!

أنا على يقين أن الحُلُم بريء من أي شيء، ولكنه شيء عندي أهم أحياناً من كل شيء!

الحلم شيء جميل، بل إنه شيء لذيذ، فرغم أنه كثيراً ما يكون نوعاً من الهروب من قسوة الواقع، إلاَّ أنه كثيراً ما يشكِّل نوعاً من الحافز للبحث عما في الحياة من جمال، ومحاولة تحقيق هذا الجمال.

وفي عالم مثل عالمنا العربي، نحن في حاجة للحلم أكثر من غيرنا، على أن لا يكون الحلم نوعاً من التخدير، بقدر ما هو باعث على استمرار العيش.

وذات مرّة جلس أحدهم عند المحقق فترة طويلة، وعلم المحقق بصدق ما يقول، ولكن!

وفي نهاية الجلسة قال له المحقق: ماذا تحتاج، وكيف تجد الوضع عندك؟

فكتب له الرجلُ على ورقةِ التحقيق: ما أضيق العيش لولا فسحة الحُلُمِ!!

في عالم الأحلام لا يستطيع أحد أن يشاركك رأيك، أو يصادر فكرتك لأنها تأتي عفوية طبيعية، إما من نزعة نفسك، أو نزغة الشيطان، أو من لمَّة مَلك كريم.

ورحت أحلم...

رحت أحلم بأنه ذات يوم سوف يكون السلام لا السلاح هو الفيصل في العلاقات بين الناس.

ورحت أحلم بأنه سوف يأتي ذلك اليوم الذي تفكّر فيه الدعوة بكل أطيافها بقضاياها الكبرى، وتجتمع على مشاريع تحيِّر الأولينَ والآخرين، وتدفعهم نحو النهضة، فتكسبُ الشعب وتريحُ الساسة، فلا ظلم ولا عنف، ولا سجَّان ولا قضبان.

ورحت أحلم بأنه سوف يأتي اليوم الذي نشارك فيه أمم الأرض الحية في الإنتاج والإبداع وإثراء الوجود الإنساني.

ورحت أحلم بأنَّ الأثرياء استيقظوا من سباتهم، فأنفقوا أموالهم على بني آدم الضعفاء، ودفعوا أموال مَن لا يخشى من ذي العرش إقلالاً على مشاريع تنمية الأمة ومقاومة المحتل الغاصب.

وحلمتُ بأنني ساهمت بيدي في إنشاء عشر قنوات فضائية، ومائة جامعة متخصصة، وعشرات البنوك الاستثمارية والمشاريع التنموية، وعشرات المراكز البحثية، حتى بلغنا مبلغاً أصبحت فيه دولة كماليزيا تتمنى أن يأتي اليوم الذي تتلقى فيه من خيرات نهضتنا!

وفي النهاية اكتشفت أن هذا الحلم قد يكون كابوساً مزعجاً يسهم في تعقيد مرضي على حد قول ذلك الطبيب، وقد يكون فكراً ميتاً أعايش فيه صاحب نظرية «بنات الأفكار» الذي اكتشف أن الأحلام الحرة لا تكاد تمر بسلام، ولا بدَّ لها أن توأد غالباً، وعرف ساعتها لماذا يُقال عن الفكر والأفكار: «بنات الأفكار»!! والسلام.

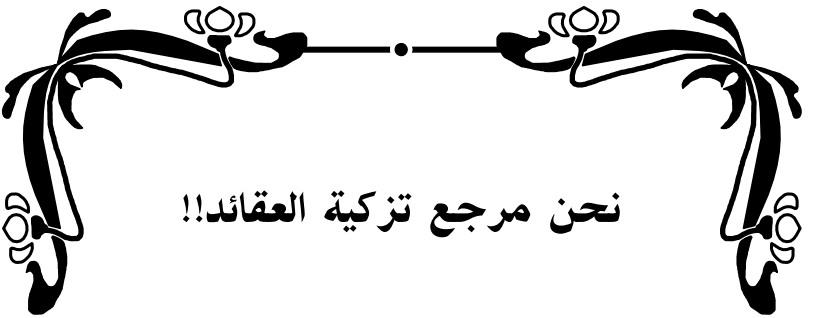

نحن مرجع تزكية العقائد!!

تمر عليَّ في مؤسسة مكة المكرمة الخيرية بجدة أسبوعياً عشرات الطلبات، التي يرجو أصحابها المساعدة والشفاعة في تيسير أمور الزواج أو حل مشكلة الدَّين، أو مخاطبة الإمارة لمشكلة اجتماعية أو إنسانية.

ولفت نظري أن أكثر الذين يزكون من أئمة المساجد من المعروفين في الأوساط أو غير المعروفين، ممن لهم صلة من قريب أو بعيد بمن يريدون تزكيته، يكتبون عبارة: «وهو معروف عندي بصحة العقيدة، أو سلامة العقيدة»!

وعجبي لا ينتهي من مسألة توارث إثبات صحة العقيدة لإنسان مسلم يعيش في بلاد التوحيد، ومن الدارسين في مدارسها، والمتعلمين على يد علمائها، ومما صار مشتهراً في هذه البلاد العظيمة من خلال الدروس والمحاضرات والكتب ووسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة.

والمتفق عليه أن الأصل في المسلم سلامة الاعتقاد،

وابن تيمية ـ رحمه الله ـ نصَّ في مجموع فتاواه على: «الصلاة خلف المسلم مستور الحال».

بينما لا تصح عندنا إمامة خريج الشريعة من جامعة أم القرى في مكة المكرمة، الواقعة بُعيد أمتار من الكعبة المشرفة ومتنزل الوحي، لأن عقيدته ناقصة!

قد يبدو هذا الأمر مضحكاً مبكياً في الوقت نفسه، ولكنه الحقيقة!

وهذا ما حصل عندما كنت أستمع إلى مناقشة لجنة اختبار أئمة المساجد في جدة قبل بضع سنوات، وهم ثلاثة؛ أحدهم: متخصص في التفسير، والثاني: في الفقه، والثالث: في العقيدة.

حيث دخل عليهم أحد الشباب الخريجين من كلية الشريعة بجامعة أم القرى، قسم الشريعة، ومن أبناء المملكة العربية السعودية، للاختبار، ومن ثمَّ تعيينه في أحدِ المساجد.

فنجح خريج الجامعة في تلاوة القرآن، والإجابة على أحكام الصلاة «في المذهب طبعاً» ورسب في العقيدة!

وسبب الرسوب ـ يا عباد الله ـ أن هذا الشاب لم يحفظ من شروط لا إلٰه إلا الله إلاَّ خمسة من سبعة!!

ولـمّا حاول الطالب بدون جدوى كدَّ ذاكرته لإكمال

الشرطين الباقيين ـ الذين يحفظهما طبعاً ـ قرر الشيخ مسؤول مادة العقيدة عدم نجاحِ الطالب في العقيدة!!

وطبعاً المطلوب منه حفظ هذه الشروط نصاً لتصحَّ إمامته، ولو كان خريجاً من كلية الشريعة بمكة المكرمة، وعلى أيدي كبار علمائها. علماً أن هذا الطالب لم يُقبل في الاختبار إلاَّ بعد أن أحضر تزكيات من ثلاثة مشايخ معروفين بسلامة العقيدة، ليكتبوا له أنه صاحب عقيدة صحيحة!

ومع هذا لم تنفع شفاعة الشافعين. فلست أدري هل المشايخ الذين زكّوا الطالب خانوا الأمانة في إثبات عقيدته، أم أن المشايخ أنفسهم لم تصح عقيدتهم؟!

وأذكر يوم هذه الحادثة أنني قلت للشيخ المدرس لمادة العقيدة: أنت تعلم يا شيخنا أن المسلم غير متعبَّد بحفظ هذه الشروط، إنما المطلوب منه أن يفهم معانيها، وإلاَّ لفسدت عقيدة أكثر من (٩٥٪) من المجتمع السعودي في أرض التوحيد!

وأولهم أبوك وأمك وأدناك ثم أدناك! فهلاَّ يا شيخنا أحضرت الطالب، وسألته عن هذه الشروط، فقلت له مثلاً: ماذا تعني كلمة الإخلاص عندما يقول المسلم: لا إلٰه إلا الله محمداً رسول الله؟ واسأله «تجاوزاً»: هل تقول: لا إلٰه إلا الله عن محبة وانقياد وقبول؟!

هل من المعقول يا شيخنا أن لا يفهم الطالب هذه المعاني؟ سكت الشيخ قليلاً. ثم قلت: ألم يقل النبيّ ﷺ: «**من قال: لا إلٰه إلا الله دخل الجنة**»؟

ألم يقل الرجل المشرك في المعركة لأسامة بن زيد رضي الله عنه: (لا إلٰه إلاَّ الله) والسيف مصلت على رأسه، فحزَّ أسامة رأسه، وقال للنبيّ ﷺ: ما قالها إلاَّ تقيةً، فغضب النبيّ ﷺ، وقال: «**وما أدراك، هلاّ شققت عن قلبه؟!**».

ألا يكفي قول البخاري: «الامتحان في الاعتقاد ابتداع»؟ وقطعاً هذا للمسلمين الموحدين أصلاً، لأنه لا داعي لامتحانهم، أما مَن لم يُعرف منهم خبرُهُ فلا بأس بامتحانه كما في حديث الجارية.

إننا اليوم بأمسّ الحاجة إلى تعليم الناس حقيقة الإيمان، لأن «الإيمان أن تؤمن» وليس الإيمان أن تحفظ! كما في حديث جبريل عليه السلام: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر...**».

والذي أفهمه في شأن التزكيات أن تُكتب مراعاة لظرف الحال، فإذا أراد المزكي تزكية لرجل مسلم موحد في شأن الزواج، فيكتب عما عَرفه عنه من أنه خلوق، محافظ على الصلاة.

وإذا أراد تزكيةً لسداد دينه يُقال: عُرف عنه أنه عاجز

فقير، حريص على ستر أهله وعياله، ولا يُعلم عنه إسراف أو تبذير. وهكذا.

أما إقحام صحة العقيدة في كل شيء ولكل مسلم موحد معروف بأصل سلامة المنهج، وربما لحافظ القرآن فهذا أمر لم يكن في منهج السلف الصالح أبداً. ولا ينبغي أن يُعتاد عليه في كل حال ولكل أحد. وأقدِّر أن تكون هذه التزكية لأحوال معينة، ولأناس بحاجة لإثبات هذا الأمر.

وأتخيل لو أن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كان بيننا واختبر هؤلاء الطلاب، وهو مَن يستصحب قاعدة: «الصلاة خلف المسلم مستور الحال»، فما عساه أن يقول لخريج الشريعة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة المزكَّى من ثلاثة من مشايخها؟!

وعلى الله قصد السبيل، وهو المستعان!

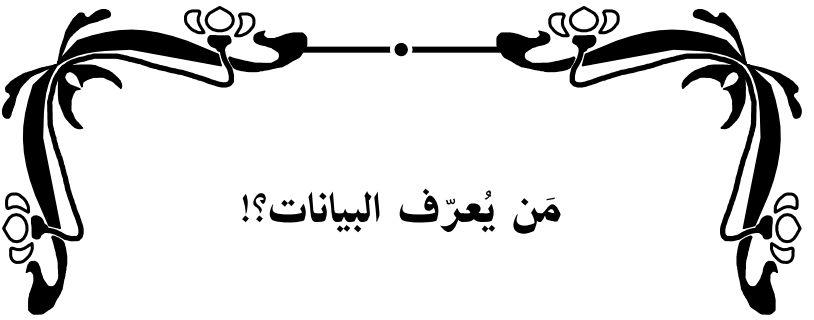

مَن يُعرّف البيانات؟!

مجرد سؤال...

هل يُشترط لكتابة البيانات والتوقيع عليها من قبل أهل العلم والمعرفة، مروراً بالمثقفين والوجهاء، وانتهاءً بالسياسيين والناشطين، مع المزج أحياناً ببعض الناشئين بأن تُعد وتُصاغ بعد حدث أو أزمة ما؟!

ثم سؤال آخر...

هل يشترط لكتابة بيان تجميعي ما، أن يكون رد فعل، أو تنديداً، أو توضيحَ لبس، أو طلبَ دعم، أو نصراً لقضية؟!

وإذا كانت الإجابةُ أنَّ ذلك ليس شرطاً، فلماذا التوجّه صوب كتابة البيانات بعد الأحداث؟ ولماذا قصرها على الجوانب المحزنة في تاريخ الأمة؟

ثم لماذا لا تنقدح أفكار معدي وصائغي البيانات نحو الأحداث الإيجابية، والقضايا العملية، والتوجيه الصحيح لما ينبغي فعله قبل الأحداث أو الأزمات السياسية؟!

وإذا أخذنا شاهداً معاصراً حول هذه القضية، فإننا نلحظ مثلاً مسرح الأحداث المتسارعة والخطيرة في المنطقة نحو القضية الإيرانية.

فيا ترى ما موقف أصحاب البيانات منها؟ ثم ما موقف الحيارى ـ وما أكثرهم ـ في الأمة؟

وهل الدور المطلوب هو انتظار ما تقرره أمريكا وحلفاؤها، ثمّ تخوين الصمت العربي المطبق نحو ما يجري للمسلمين؟

وهل سيكون الناتج هو تبادل الاتهامات، وتصفية الحسابات، ومن ثمَّ تكرار الاعتذار البليد: (ما كنا نود أن يجري ما يجري ولكن اضطرتنا الأحداث...!!).

إن المأمول من العقلاء والمفكرين والحكماء والعلماء في الأمة أن يبادروا لتوعية أبنائهم وتأهيلهم نحو الهدف الصحيح، وإلاَّ فستضيع أوقاتهم وجهودهم في متابعة المخدِّرين للقضايا، والمحسوبين على بلاط السلاطين، والمستأجرين إعلامياً!!

إن المسألةَ ليست هينة أبداً. ومن السذاجة إهمال ما ينخر في جسد الأمة، وينهب ثرواتها، ويجعل مستقبلها سراباً!

قطعاً لا أريد أن أدعو لليأس، ولكن الأحداث المتتالية تجبرُ المرء على أكثر من هذا.

والمأمول في حدثٍ كهذا أن يتنادى أرباب البيانات، من أهل العلم والتجربة والحكمة والحنكة ليَصِيغوا رؤية واضحة تشمل توضيحَ حقيقة الصراع الدائر في المنطقة، والمصالحَ التي يسعى إليها كل طرف، والموقفَ المطلوب المبني على التصور الشامل، والتشخيص السليم، ومن ثمَّ الصياغة الواقعية المتزنة المبنية على مفهوم السياسة الشرعية مع التدليل الواقعي، والتأصيل الشرعي، والاستنتاج المنطقي.

وحينها لن ندور بين أفلاك عدة ذات اليمين والشمال.

فطائفة: تنظر للحدث من زاوية عقدية، وأخرى: من زاوية مصلحية، وثالثة: من زاوية عرقية، ورابعة: من زاوية تاريخية، وهكذا...، حتى تصطدم الآراء بعضها ببعض كما تصطدم بعض الأفلاك فيكون الدمار.

ولذا فإنّ معدِّي البيانات والمتحمسين لها سيكسبون وزراً إن تجرؤوا على ما لا علم له به سواء أكانوا أفراداً أم طوائف، حاشا العقلاء من أهل البصيرة.

وإن تمت صياغة البيان أو الرسالة أو الخطاب أو المذكرة ـ ولنسمِّهِ ما شئنا بعيداً عن حساسية التسميات لدى بعض الدول، لما لهذا الأمر من أهمية في تسهيل تمريره إلى طبقات المجتمع ـ قبل الحدث أو الأزمة وصيغ بالنظرة الشاملة الفاحصة فسيفرض هذا الجهد نماءً في الوعي، وإصلاحاً في الرأي، وتأثيراً في القرار.

وسيضعف بالتالي كل بيان عاجل، أو غير مستوعب، أو مرشَّد، مهما كان صاحبه، لأن القاعدة تقول: المليء سيد الساحات.

آمل أن نعيد الحسابات في إعداد البيانات، واستثمار طاقات البُناة في الأمة بالتوجيه السليم.

إن القضايا الخطيرة والكبيرة في الأمة تحتاج إلى جهود كبيرة، والبيانات ليست كل شيء، ومن ثمَّ فهي ليست نهاية الأزمة!

لكنها بالتصور السابق بداية التخطيط القويم.

ولست أدري في ظلِّ الأحداث المتسارعة هل يمكن أن نفهم الرسالة الربانية ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم﴾، أم أنَّ دورنا سيبقى قاصراً على الشعارات والبيانات والمظاهرات؟!

وفي ظلِّ الأزمات السياسية الواقعة سيكون من الصعب الانحياز نحو الحقيقة الكاملة، وستختفي أصوات كثيرة، في حين تتجدد قامات المحللين والناقدين!

وحتى لا نطيل الجدال، ونتبادل الأدوار، علينا أن نبدأ بالمتاح والمستطاع، وأن لا تغيب عقولنا عن الدراسة الاستشرافية للمستقبل بكل وعي وحكمة، وأن نسهم في المعادلة، وإن لم نفعل ذلك، فالأوراق دوننا والأقلام تمدها سبعة أبحر من مداد التبلد!!

خازوق الفقيه!
(الاستبداد بالاستدلال)

لا ينفكُّ عجبي، ولن ينفكَّ أبدَ الدَّهر من منظر مكرور، تمتزجُ فيه القسوةُ بروح أبوية حنونة!!

يتكرر المنظر أمام ناظري مئات المرات، ولا يمكن تسويغُهُ للنفسِ التي تتلقى اللكمات والآلام والآهات إلاَّ بالاستدلال الشرعي!

إنه منظر الطفل الصغير البريء الذي يُضرب ويُلطم، وربما يُمسخُ حماراً أو كلباً لأنه صرخ مع أقرانه، أو أصرَّ على شراء حلوى بعينها، أو تمرَّد بعدم الاستجابة لما لا يشتهي!

ولم يكن ثمة حلٌّ بنظرِ أبويه إلاَّ بصفعه أو إهانته، أو رفع العَصا عليه، لأن لوالديه الحق في الضرب! ألم يقل ﷺ: «**واضربوهم**»؟!

ولا أدري لم لا يبادر هؤلاءِ الفقهاءُ ـ أعني: فقهاء

العصر ـ بالتنقيبِ في دلالات الحديث وأسباب وروده، وبالبحثِ عما قد يخصص دلالاتهُ أو يوضّحها من النصوص الأخرى؟

أوَ يصحُّ أن يُذكر لفظ: «**واضربوهم**» بمعزلٍ عن حكم النبيّ ﷺ على أب لم يقبِّلْ وجنة أبنائه بالقسوة ونزعِ الرحمة؟!

وهل يصحُّ الاحتجاجُ بلفظ: «**واضربوهم**» مع الغفلةِ عن سنيّةِ تقديمِ الطفل بالسلام في المجلس إذا كان في يمينه؟!

أليس تقبيلُ الطفلِ إكراماً؟ أليس البدءُ بالسلام عليه في حضرة الكبار إكراماً؟

إذاً أين موقع الضرب؟

إنّه موقع استثنائيٌّ جداً، وهو ليس بمعزلٍ البتة عن مبدأ التكريم والتقدير!

ثمّ أين فقهاء العصر عن أخبارِ أجدادهم الفقهاء الذين تركوا للصغير الذي ميَّز أن يختار لنفسه سبيل العيش الكريم بين أبويه المفترقين؟!

وما اختيار زيد بن حارثةَ رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ على أبويه وأعمامه بمكة، إلاَّ دليلاً واحداً لو أراد فقهاء العصر الاستدلال!

وسأبقى مصرّاً على وجوب دعوة سادتنا فقهاء العصر للعودة إلى تحرير حُكمِ ضربِ الطفلِ في حضرة شواهد التكريم السالفة!

والطفل بالأمس هو الإنسان نفسه اليوم، وُلدَ إنساناً وسيبقى إنساناً، ولو قال عنه أبواه سابقاً: (حمار وكلب)، وقالها له الأكابر اليوم!

طفل الأمس الذي مورس عليه الضرب بلا خطام ولا زمام بل بلا سبب استدلالاً بقوله ﷺ: «**واضربوهم**»، هو عينُهُ الذي مورسَ عليه الظُّلْمُ لما كبر تحت غطاء: «**ولو جَلَدَ ظَهْرك**»!! فقد أجاز فقهاءُ العصر أن يُضرب الإنسان الذي كان طفلاً بالأمس ويُصفع ويلكم! بل زادوا على ذلك فرغّبوه في أجر ذلك الضرب! ثمّ تمادوا فطلبوا منه أن يدعوَ لضاربه، لأنّه وليُّ الأمرِ الذي يصدقُ في حقِّه قول النبيّ ﷺ: «**ولو جلد ظهرك**»!!!

وأتساءل على الأقل في نفسي: ألا ينبغي لفقهاء العصر هؤلاء أن ينقبوا عن دلالات الألفاظ، ويبحثوا أسباب الاختيار الاستثنائي للتعامل مع الإنسان؟!

ألم يقرؤوا آلاف النصوص الدالةِ على أنَّ الله حرّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً، والمشيرةِ بوضوحٍ إلى حرمةِ الظلمِ وسوءِ عاقبته؟!

أليس المضروب إنساناً من شحم ولحم كالضارب؟! فعلام يضرب بالمجان؟ وبأيِّ حقٍّ يُلبَسُ هذا الظلمُ لباساً شرعياً بحجةِ: «**ولو جلد ظهرك**»؟

ألم يقرأ هؤلاء ما أجمع عليه علماء الأمة من أنَّ الظلم حرام، والضربَ بغير حق حرام، وأنَّ تولّي الضرب إنما هو من الخليفة الأعظم الذي استوفى الشروط المقررة، على ألا يكونَ ضربُهُ بالتشهِّي وهوى النفس؟ وعلى ألا يكونَ ذلك بلا محاسبةٍ له من أهل الحل والعقد؟ ألم يعرفوا كل ذلك؟

ألا يدركون أنَّ الضربَ ليس سائغاً لهذا أو ذاك لمجرد كونه وليَّ الأمر، أو الحاكمَ، أو الأميرَ، أو الرئيسَ، الذي انتخب نفسه بنفسه، واختار علماء بلده باختياره؟

ثم مَن أباح لهؤلاء الفقهاء أن يسوِّغُوا لإنسان كائناً ما كان أن يتحوَّل إلى قاضٍ بمدلول «**ولو جلد ظهرك**»، ثم يكونوا شياطين خُرْساً، غافلين عن الحديث النبويِّ: «**الساكت عن الحق شيطان أخرس**»؟

وكيف جوّزوا لأنفسهم أن يمنعوا الناس من أن يقولوا للظالم: يا ظالم، بحجةِ سدّ الذرائعِ، وقد قال ﷺ: «**إذا لم تقل الأمةُ للظالم: يا ظالمُ، فقد استودِعَ منها**»؟ وإذا كانوا قد خانوا الأمانة، وما قالوا: «**كلمة حق عند سلطان جائر**»،

وتحولوا إلى وعَّاظ مصالح فما لهم لا يذرون الناسَ يقومونَ بالقسطِ، وينطقون بالحقّ، ويدرؤون الظُّلم؟

أليس ذلك كله استبداداً بالاستدلال؟ ألا يكون الفقيهُ مستبداً حين يأخذ جزءاً من حديثٍ يفرِضُ من خلالِهِ فهمَهُ ورؤيتَهُ غافلاً عن عشراتِ النصوص الأخرى، مانعاً غيره من مخالفتِهِ؟

ومن صور الاستبداد بالاستدلال ما فُهم عن الشيخ الفاضل والداعية الكريم د.محمد النجيمي، في حواره مع الإعلامي الشهير تركي الدخيل عندما قال: لا يجوز لأحد أن يَعترض على قرار هيئة العلماء بالمملكة العربية السعودية، التي عيَّنَها ولي الأمر، في القضايا الكبرى المتعلقة بالبلاد! ويجوزُ الاختلاف معها والاعتراض عليها في القضايا الجزئية!!

وأنا أعجب كل العجبِ من رجل في قامة وحضور ووعي د.محمد النجيمي كيف لم ينبِّه لخطورة هذا المزلق، وروَّج بالاستدلال للاستبداد؟!

والسؤال البريء ابتداءً: مَن الذي له الحقُّ الشرعي في أن يفرّق بين القضايا الكبرى والصغرى؟ ومَن المخوّلُ بالتفريقِ بين ما تجوزُ مخالفةُ الهيئة فيه وما لا تجوزُ؟

إن كان التحاكم للكتاب والسنَّة فالنصُّ القرآني يقول:

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، وقد أمر الله في كتابه كما لا يخفى على فضيلته بالعودة إلى أولي الأمر الذين بيَّن الله شأنهم بقوله: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾، ولا أخال أنّه يخفى على فضيلته أن الذين يستنبطون الأحكام ليسوا مؤسسة ولا جهة ولا هيئة ولا مجمعاً ولا جماعة ولا رئاسة، بل هم كل مَن اتصف بصفةِ العلم والتقوى، وتأهَّلَ للفتيا والاستنباطِ، سواءً كانوا في منصبٍ رسميٍّ يتقاضَون عليه أجراً، أو كانوا من غير ذوي المناصبِ، أو كانوا ممن فُصِلوا من وظائفهم ومناصبهم!

إنني أقر ابتداءً أن علماء الأمة يجب احترام آرائهم، وتقدير مكانتهم، والاعتزاز بدورهم، ولكن هذا شيء، وعدم الاعتراض على آرائهم أو اجتهاداتهم ـ وهم بشرٌ يصيبون ويخطئون ـ شيء آخر.

ولا يشكُّ داعية أو واع أنّ أعضاء هيئة كبار العلماء بالسعوديةِ هم من خيرة العلماء، وأنهم كذلك متفاوتون في العلم والمعرفة، كبقية علماء الأمة في كل قطر.

وقد استدل الدكتور النجيمي ـ حفظه الله ـ بمسألةِ الاستعانةِ بالقوات الأجنبية في حرب الخليجِ، ورأى أن قرار هيئة كبار العلماء بتسويغِ ذلك قرارٌ ملزمٌ لا تجوزُ مخالفتُهُ ولا الاعتراض عليه!

والذي يقتضيه المنطق السليم أنّ هذه المسألة مسألةٌ اجتهاديّةٌ، أنِس وليُّ الأمرِ برأي الهيئةِ فيها. ولا ريب أن فتوى الهيئةِ في هذه المسألةِ قد نشأت عن موازنةٍ بين المصالح والمفاسدِ؛ لأنَّ مسألة الاستعانة بالكافر قد يختلفُ حكمها باختلاف الأحوال والظروفِ، نعم لها شروطها وأسبابها وأدلتها المذكورة في كتب الفقه والسير، ولكن لا يمكنُ تنزيلُ حكمٍ واحدٍ على آلافِ الصور والنوازل، وإنما هو الاجتهادُ والرأيُ والمشورة!!

وكثير من العلماء والدعاة احترم رأي هيئة كبار العلماء وقرارها، وأنا شخصياً ملتُ لما رأتْهُ الهيئةُ، ورأيتُ فيه مراعاةً لمصلحة معتبرةٍ مبنية على استدلالات مشهورة، ولكن هذا لا يخرجُ قرار الهيئة عن كونِهِ اجتهاداً قابلاً للأخذ والردّ، فهو ليس إجماعاً شرعياً لا يجوزُ الخروجُ عنه، وكيف يمكنُ أن يكون إجماعاً وهو قرارٌ بُنِي على موازنةٍ تقديريّةٍ لا على نصٍّ قاطع الدلالة والثبوت؟ وكيف يكون إجماعاً وثمَّ علماء آخرون لهم آراء أخرى مبنية على نفس قاعدة المصالح والمفاسد؟!

ولو سلَّمْنا بما قاله الدكتور النجيمي لتحول قرار الهيئة من كونِهِ رأياً يُستدَلُّ له، إلاَّ كونه دليلاً يُستدَلُّ به!! وفي ذلك تكليفٌ للمجتهد من غيرهم بأن لا يجتهد! وصدق مَن قال: «أتفتحون باب الاجتهاد وتلزمون الناس برأيكم».

ولو صحَّ ما قاله، لأثم الصحابة الذين اعترضوا على رسول الله ﷺ في المعارك وخرجوا عن طاعة وليِّ الأمر المجمع على إمامته!!

ولم يقل فقيه واحد: بأنه لم يوجد في عصر الصحابة ومَن بعدهم منْ أخذ بسوى الرأي الذي رآه أمير المؤمنين في مسائل الخلاف، ولا قال أحدٌ بأنه لا يجوزُ الاعتراضُ مطلقاً.

ولو أن الشيخ د.محمد النجيمي، قال: بأن العلماء الذين اجتهدوا في مسألةٍ نازلةٍ ووصلوا لرأيٍ ما فيه مصلحة للبلاد والعباد وأخذ به ولي الأمر يجبُ تقديرهم واحترامهم، ولا يجوز تخوينهم ولا التهوين من شأنهم لكان ذلك مقبولاً.

ولو أنه قال: إنَّ طاعة ولي الأمر فيما فيه مصلحة ظاهرة، ودرءٌ لمفسدة أكبر هو الواجبُ لكان لقولِهِ وجهٌ.

أما أنه لا يجوز الاعتراض، ولا بيان الأسباب، مهما كان الاعتراضُ موضوعياً منصفاً فهذا لعمرو الله ما لم يقل به فقيه مؤمن حر!

وأنا أقدِّرُ أنَّ د.النجيمي ـ وفقه الله ـ أراد صيانة المجتمع من البلبلة والفوضى، وأن للسلطان القوة في منع الخلل الذي يجر الويلات كما عبر عن ذلك الفقهاء، وليته أشار ـ رعاه الله ـ في الوقت نفسه أن الفقهاء الأقدمين

أنفسهم لم تتلطخ جوارهم بالعبث السياسي فكبتوا الحرية الشخصية للمجتهد القادر، بشرط عدم الخروج عن منطق الحكمة والعقل.

ومن غير الحرية الراشدة للمجتهدين سيُفتح الباب للمغفلين والمتسرعين ليطلقوا السهام الطائشة، ويَصلى الجميع نار الجفاء، كما يصلون جذوة النار!

إنَّ الأمر واضح... نصٌّ محكم، واستدلالٌ صريح، وفقهٌ مكتسب، وحريةٌ وعدالةٌ وفضيلةٌ.

فلتعلُ أصواتُ الحرية والوسطية والمصلحة، وتقدير المكتسبات، للعامة والخاصة على السواء.

وإذا بقيت المغالطات على ما هي عليه، فالأولى بالفقهاء أن يؤمنوا أن الفقه سياسة ولن تكون السياسة فقهاً!

وتحضرني في كلمة الوداع طرفتان؛ إحداهما: لأحد الظرفاء، حين أرسل إلى لجنة الفتوى هذا السؤال: رجلٌ حلف بالطلاق أن الانتخابات التي حدثت سنة كذا مزوَّرة، فهل تطلق امرأته؟

ولم تقع لجنة الفتوى في هذا الشَّرَك... ولن تقعَ، ولو بقيت المرأة معلَّقةً أبد الدهر!

والأخرى: في ندوة فقهية تحدّث فيها الشيخ يوسف

القرضاوي، عن الوعاظ غير الفقهاء، الذين يروون أحاديث ضعيفة، كحديث: «يغفر الله في أول يوم من رمضان لخمسمائة ألف، وفي نصفه إلى كذا...»، فقال الشيخ متعجباً: يعني: الأمة مليار ونصف، وأول ليلة يغفر لخمسمائة ألف! لو أن الواعظ قرأ: نصف مليون، يمكن!! فعلَّق الشيخ أحمد الكبيسي على رواية القرضاوي، مداعباً: يا شيخ يوسف، إنت زعلان أن الواعظ لو قال نصف مليون يغفر لهم الله يمكن، ليش يا شيخ ما يغفر الله في رمضان للأمة كلها! فإذا كانت الشوكة التي يُشاكها الإنسان تُكفّر بها خطاياه، ونحن المسلمين أكلنا ألف خازوق من أمريكا، ما يمكن يكفّر الله بها خطايانا؟!!

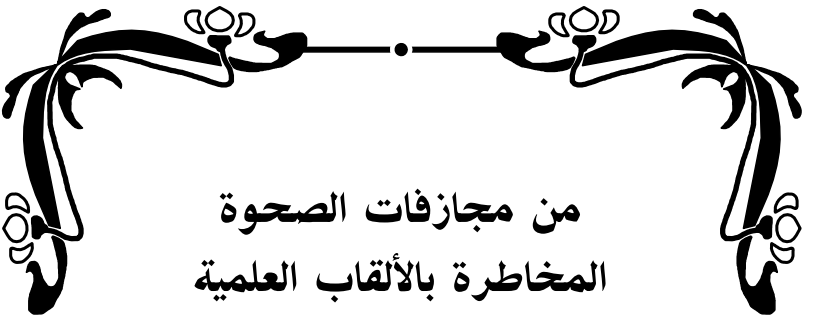

من مجازفات الصحوة المخاطرة بالألقاب العلمية

مجازفات الصحوة في هذا العصر متفاوتة، فبعضها خطير، وبعضها أقل خطورة! وهذه المجازفات يتحملها أفرادها المخاطرون ولا شك.

ومن أخطر مجازفات الصحوة المؤثرة على الأمة بشكل كبير مخاطرتها بالألقاب العلمية، لما لذلك من تأثير على الرأي العام والخاص.

وقد أدّت هذه المجازفات بالألقاب العلمية إلى مساوئ عدة، منها: تشبُّعُ الإنسانِ بما لم يعط، والتمرّد على تراث الأمة، والسعي لتصفية الحسابات، وفتح الباب للجامدين من طلاب العلم على سلسلة من الكتب والأقاويل، في مقابل إبراز الفارغين من العلوم الشرعية. وما بين هذين التيارين يتقاسم الجيل تركة التشتت، والتشرذم، والتحزّب، والعنف، والاحتراق بالتصوّف، وسلسلة لا تنتهي من المخازي

المؤسفة، وما يتبعها من مطارحات أو مطاحنات فكرية وشتائم لفظية، تتسلسل في عصر العولمة بكل سهولة عبر الفضائيات والإنترنت وصفحات المجلات والصحف!

ولنبدأ رحلة الدوار والصداع...

فمن المخاطرة بالألقاب العلمية، التساهل في توزيع الألقاب: (العالِم، العلاَّمة، الإمام)! وليت الأمر يخص الأتباع وأشباه طلاب العلم الذين تصدّروا لمسألةِ توزيع الألقاب وتدويرها على حسب المصالح أو حسب درجات الجهل، بل تعدّى هذا الأمر إلى بعض النخب من أساتذة الصحوة، أو الذين ولدوا في زمن الصحوة أو قبلها بقليل! فهؤلاء أرادوا السلامة، وخافوا من سياطِ التصنيفِ بسبب انتمائهم وآرائهم، وأحبّوا أن يبقوا في ظلّ (الطائفة المنصورة) مهما كان رافع لوائها وحامي حماها! ولا مانع عندهم من أن يوصفَ أحدهم بالعالِم الرباني أو العلاَّمة الفقيه أو الإمام! ما دام ذلك يبقيه في دائرة السلامة! وإن طرق الزهد باب أحدهم يوماً فسيقول: هذه الألقاب أطلقها طلابنا ومحبونا والمتابعون لآرائنا وتوجيهاتنا!

ومن صور المخاطرة بالألقاب العلمية (تمطيط) دلالةِ الألقاب العلمية ذات المعايير الشرعيةِ المنضبطةِ كـ (العالِم، والعلاَّمة، والإمام)، وأستطيع القول: إن مصطلح الإمام

المعروف في كتب علماء المسلمين لا ينطبق اليوم إلاَّ على أقل القليل من علماء زماننا. ومن مجازفات الصحوة أنها خلطت بقصد أو بغير قصد بين الفقيه المحبوب المقبولةِ فتواه المشهور علمه وخبره، والإمام بالمصطلح العلمي.

وأما لقب (العلاَّمة) فقد تبرع به بعض الصحويين لكل مَن ألَّف أو تحدث في العديد من المجالات بشكل حسن أو مبهر، ولربما كان بعضهم لا يعدو أن يكون باحثاً أو محاضراً في موضوع ما! مما شكل رؤية عند العاشقين فضلاً عن المتعمقين بوصفه بالعلاَّمة!

أما عن مصطلح (العالِم) فقد صار لدى البعض على حسب الموجات، فإن كان المتحدث أو المؤلف قد أحسن في موضوع عصري ظهرت الحاجة إليه وأتقنه وجوّده، فإن العاطفة تبلّغه منزلة العالِم بكل طيب نفس وروح رياضية!!

وبالتالي سيكون من المؤسف أن تختلط الأوراق فيسمى الباحث المتخصص في مسألةٍ أو قضيةٍ عالماً على نظام الشيك على بياض!

والذي أتحدّث عنه هنا هو عالِم الشريعة وليس العالِم في أمور الطبيعيات كما يقال؛ لأن لهذا العالِم مؤهلاته، ولذلك مؤهلات أخرى.

ومن المجازفات إحداث صور (تهويلية) عن عمق ومستوى بعض أهل العلم. . .

فليس صواباً أن شيخاً متخصصاً في فقه أحدِ المذاهب، حافظاً لأحاديث الأحكام، مع جملة عامة في المصطلح والنحو يعتبر عالماً! وهو لا عناية له بفقه المذاهب الأخرى، وأصولها، وروايات الحديث، ودلائل اللغة، اللَّهمَّ إلاَّ أن يكون هذا (عالماً) بالمعنى العرفي ـ أي: صاحب علم كثير في مذهبه ـ!

كما أنه ليس صواباً أن تطلق عبارة (العلاَّمة) على شيخ قارئ مثقفٍ ثقافةً عالية في جملة من العلوم التي أتاحها له وقته مدة من الزمان، وألَّف فيها بعض الكتب أو المقررات. وسيكون من نافلة القول أن نقول: إنَّ لقب (الإمام) لا يطلق على مَن اشتهر علمه وفقهه، وصار موئلاً للعامة أو الخاصة، أو كان له قدم صدق في عمل خيري، أو مواجهة أمام الباطل، وتحمل للصدع بالحق. فالإمامة المعنوية شيء، والإمامة الشرعية بدلائلها شيء آخر!

ولنتداول الرأي في مضامين القراءة السابقة:

١ ـ إنَّ المجازفة اللفظية في ألقاب: (الإمام، العلاَّمة، العالِم)، قد تُصرفنا عن ضرورة مراجعة الأقوال، وتدارك الأخطاء الكبرى، التي ذكرها أولئك من وحي ذاكرتهم، أو

من خلال ما استطاعوا بحثه أو النظر فيه في حدود علمهم ووقتهم.

٢ ـ الخروج من حوزة العاطفةِ وخمولِ العقل وفورة الموقف أثناء الحكم على رأي شيخ في لحظة ما، على المصطلح ذي الدلالة الصحيحة التي يُبنى عليها ما يُبنى، من حسن عرض، وجميل ذكر، وأدب مناقشة.

ولا زلت أذكر عتاب أحد الأجلاء من أهل العلم على نعت شيخ لآخر بوصف (العلاَّمة) وهو في تقديره لا يستحق ذلك، في حين أنه وصف شيخاً آخر بنفس الوصف وهو لم يره ولم يجالسه وليس له من المصنفات أو الدروس ما يشفع له بهذا الوصف!

ولذا فإن الموضوع يكتنفه من الحساسية المفرطة ما يكتنفه، ولربما ظن البعض أن سحب وصف (العالِم أو العلاَّمة) عنه لاعتبارات عدة نقصاناً في الإيمان، ومهانة للأمة!

٣ ـ إعطاء كل شيخ حجمه اللائق به يجعلنا في الدائرة الصحيحة التي تبنى عليها معالم الاجتهاد والفتوى، وما يتبعها من تأثير فكري على جيل الصحوة.

فهناك: محدِّث متخصص، وآخر: فقيه متخصص، وثالث: واعظ مؤثر، ورابع: باحث متقن، وخامس: مُفكِّر مبدع، وهكذا تسيل الأودية بقدرها...

فالمسألة الشرعية الكبرى لا تنفع معها قراءة مهندس أو طبيب لبعض كتب المعاصرين، كما ابتلينا بمن يتحدث في أخطر المسائل، وكل ما في جعبته قراءة ومراجعة لآخر ما طبع من أبحاث المتأخرين، وليس له دراية بكتب المتقدمين، وكأن المتأخرين جمعوا في ظنه ما يمكن جمعه، فكيف بالله يجرؤون على ما لا يحسنون؟!

٤ ـ احترام علم كبار السلف الذين وفقوا لبركة الوقت والعمر، وأصّلوا القضايا الكبرى، وفرّعوا كثيراً من المسائل التي بُنيت عليها كثير من مسائل العصر.

وهذا الاحترام سينزل الأئمة المعتبرين منزلتهم اللائقة بهم دون تقليل أو تعظيم، كما أنه يفتح الباب لمراجعة أقوالهم في حدود العلم والأدب معاً!

٥ ـ تخفيف حدة (الأنا)، والالتفات صوب صلاح النفس والتمسك بمنهج الشرع الحنيف، وهدي السلف الصحيح، وعدم التذرع بقول: أنا قرأت، أنا بحثت، دون تقديم برهان أو مناقشة الحجة بالحجة!

٦ ـ ضرورة رفع الستار عن المخبوء في عالم الصحوة، من اللاهثين وراء الأوسمة، الذين يبحثون عن لقب (العالم) تحت مصطلح (الدكتور، أو الأستاذ الدكتور، أو...) ليتترّسوا وراءها، فيطلقوا آراءهم من مدفع هذه المصطلحات، لا من مدفع العلم والمعرفة.

ونحن إذ نطالب بذلك نزن أهل العلم بميزان الشريعة الصحيح، لتعرف الصحوة مسار العلم السليم لا المزيَّف.

٧ ـ تنوير الصحوة بحقيقة العلماء المستحقين لهذا اللفظ الشريف، ومراعاةِ التخصصات والأزمان. فمن الحق القول: بأن ثمة أكابر وعلماء متخصصين في بعض العلوم الشرعية غير مهتمين بالعلوم المتممة، فهذا لا ينفي عنهم العلم الكبير، وهو بالتالي يربي النشء على الاستفادة منهم فيما برعوا فيه وما أسعفتهم أوقاتهم وأزمانهم وبيئتهم في التخصص فيه.

٨ ـ أن تفتح الصحوة المغاليق التي كانت موصدةً في عقول البعض، معشعشة في نفوسهم، مما حرمهم من معرفة إمكانية ودراية أكابر من علماء الأمة بسبب بعض آرائهم أو فتاواهم المختلف عليها.

٩ ـ المراجعة للمصطلحات وتوزيع الألقاب، ورعاية تقوى الله في الألفاظ، ودلالة العباد على أهل الشريعة الصالحين العاملين، فقد يكون (العالِم) غير متوغّلٍ في خلاف فروع المذهب في المسألة الواحدة، بل صرَّف وقته لقضايا الأمة الكبرى، والضغط للتأثير في سبيل كشف مخططات أعدائها، وصلاح شبابها، مع علمه بأصول المسائل في فقه المذهب، وفهمه وحفظه للعلوم المتممة. فيا ترى،

مَن هو (العالِم) حينئذٍ، هل هو الموصوف بالتوغل في المسائل الفقهية التفصيلية دون المشاركة فضلاً عن المعرفة بوقائع الأمة التفصيلية أم العكس؟!

١٠ ـ توفير الجهد والوقت لتفريغ جيل الصحوة لأولوياتها العلمية، وتحديد المسارات للتخصصات المطلوبة. والخروج من دائرة المساءلة (العبثية) عند مَن درست؟ وماذا درست؟ وكم مدة الدراسة؟ لمجرد السؤال ليس إلا.

والتفرغ لدراسة ما يقرب الإنسان من ربه، ويعينه في تخصصه، وتحقيق أولوياته. وهذا دور العلماء وروّاد الصحوة.

وبعد: فسيكون من المهم أن أؤكد على أن في صحوتنا خيراً كثيراً، ونفعاً عظيماً، ودعوة مباركةً للعودة إلى الله من خلال علمائها ومشايخها وأهل الفضل فيها، وما عودة الناس اليوم إلى الله إلاَّ ثمرة من ثمار الصحوة المباركة، التي تسير في طريق نضجها اليوم أكثر من ذي قبل، وهي بحاجة إلى الأطباء الحانين، والعلماء المتبصرين.

والعاقل والمنصف والحكيم يدرك قيمة العلماء والمتخصصين في الأمة الذين نالوا شرف العلم بلا أوسمة، كما يدرك دور الباحثين المتخصصين الأكاديميين الذين تفخر الأوسمة بهم ولا يفخرون هم بها.

وفي أمتنا علماء أكارم وجهابذة أكابر يستحق كل منهم لقب (علاَّمة) و(عالِم)، وفيها قلة من الأئمة لا يقلُّ شأن بعضهم عن أئمةٍ وعلماء سابقين في الفهم والاستنباط والاجتهاد، فضلاً عن استيعاب المستجدات الهائلة في هذا العصر. وهؤلاء يجب الاحتفاء بهم، والاستفادة من توجيهاتهم ومراجعاتهم ضمن إطار الموضوعية والأدب.

ولن أؤكد ختاماً على أنني لم أعنِ بهذا الحديث مؤسسة علمية بعينها أو علماء بأعيانهم، وإذا قفز في مخيلة أحد هذا ـ لا قدَّر الله ـ فإنه سيكلفني كتابة حديث آخر عن مجازفة الصحوة في (الذاكرة الموبوءة)!!

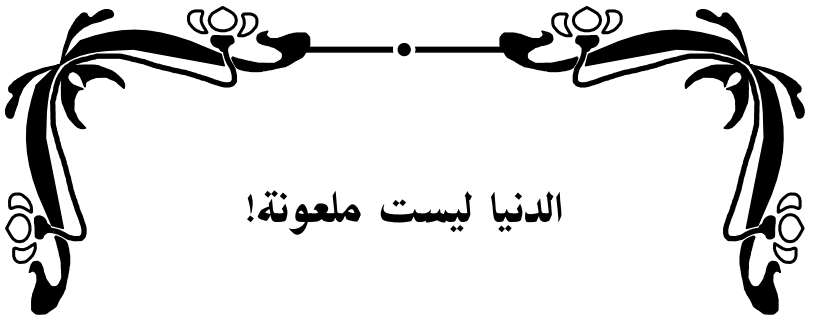

الدنيا ليست ملعونة!

المتأمل في واقع الحياة الحديثة يلحظ تغيراً كبيراً، ومنعطفاً فكرياً في نظرة علماء ومفكري الأمة فضلاً عن غيرهم نحو الحياة!

وهذا التغيُّر قد يكون من أسبابه ما فرضه الإعلام المعاصر وبرامجه المختلفة من أنماط ثقافية أحدثت ولا شك تشكيلاً جديداً للمفاهيم والنظرات. ولكنه في المقابل أظهر أصواتاً جديدة كانت تؤمن وتنادي بإنشاء علاقة وطيدة وحسنة مع الحياة!

إن مساحة الخطاب عندما تكون محدودة، فإن إفرازات العقل الفكرية تبقى محدودة حدود مساحة ذلك الخطاب.

ويمكننا أن نشبه حركة العقل بالمرء الذي عاش فترة تعليمية في بلده المتواضع علمياً وعملياً، ثم ابتعث لدولة كبرى تضج بالمتغيرات والتطورات الهائلة المذهلة، وسرعة إيقاع حياة الناس تعاملاً ومتعةً وأكلاً وشرباً!

إن العيش في ظلال هذه البيئة لا شك أنه يحدث نقلة شعورية، وتصوراً فكرياً مغايراً لما كان عليه في بيئته.

والعقل ابن البيئة في جوانب كثيرة!

والإحداثيات الجديدة لدى كثير من المفكرين والمثقفين اليوم في نظرتهم للواقع، واستشهادهم بالنصوص، وتطبيقها عملياً على واقعهم، أدى إلى تشوِّه كبير لدى المخلطين، كما أدى إلى انسجام مع المجتمع من قبل عامة الناس نحو المتدينين.

إن تطبيق أوامر الشرع، والتلذذ بنعمة التفكر، والسعي لخدمة المساكين والمحتاجين، والدعوة في صفوف الغافلين، والتوعية في بلاد الكافرين، كلها معابر للخير لا يمكن أن تتم إلاَّ عبر ممر وحيد هو الحياة!

بل حتى أن أعظم بقع العبادة ألا وهي الجوامع إنما هي أمكنة لاستعادة الطاقة الإيمانية للجد في الحياة، وتحت سقفها تكفل كل حريات القول والاعتقاد، والخضوع المطلق لمسير قوانين الحياة، وفيها يستمع المرء المواعظ التي تحدد مسؤوليته أمام الله، ثم أمام نفسه وضميره، ثم أمام الناس، ثم أمام التاريخ!

وهذه النظرة الإيجابية للحياة إنما تتغلغل لحس المؤمن، وتتشكل في عقله لتحدث التصور المطلوب والمنسجم في واقع الحياة.

ومن هنا؛ فإن التشابه في تفكيرنا وتعبيرنا بين الأمس البعيد واليوم المولود والغد المرتقب أمر مروع، إلاَّ إذا آمنا أن ثقافتنا وهمومنا لا تتغير ولا تتطور! وستصبح ثقافتنا بهذا الفهم وقتها كلمات لا تعبر عن نفسها!

إن الصفقة للحياة ليست مجزية، ولكن الصفقة معها هي الخيار الوحيد للمبتغى القريب!

وإنما تمنح الحياة أجمل ما فيها للإنسان يوم يسكب فيها فكره، ويشرب منها ما طاب!

إنه حين يمارس المرء المسلم السوي حياته الطبيعية الطيبة، فإنما يعمر الحياة كما تربى على هذا في ثقافته المتدينة.

ولكنه حينما يكون نموذجاً للخداع والغش والمكر والخيانة والأنانية والغفلة؛ فإن الدنيا هي التي ستلعنه، ولن يغني عنه سبها ولعنها كونها خدعته!

ولن يمثِّل الصورة الحقيقة للتجانس بين الحياة وراحة النفس، وإسعاد الخلق ورضا الخالق إلاَّ مَن تشرَّب قلبه حب السيرة النبوية ووعى منهجها، حتى جعلت واحداً من هؤلاء وهو الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يعبر عن فهمه للحياة بقوله:

وكيف يصح أن الدنيا ملعونة، وليس من رزق، ولا من نعمة ينالها العبد إلاَّ على ظهرها.

وقد قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾. وإنما يذم منها حرام من غير وجهه! [شرح حديث جبريل، (٦٤٥)].

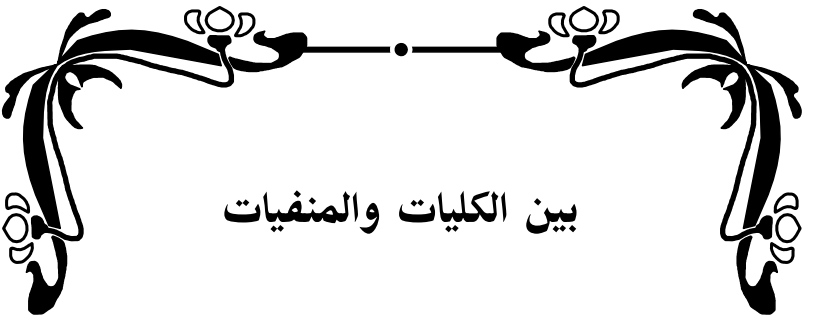

بين الكليات والمنفيات

لا تزال أرحام النساء تدفع عقولاً خصْبة، وأخرى عاطبة بما سجِّل في القدر وسبق به القلم.

وإلى هنا فإن الأمر جدّ عادي، ولكنَّ غير العادي أن يتحول خصيب العقل إلى عاطب العقل، وهو يدّعي الاجتهاد، ويرنو إلى التجديد!

إذ ليس من المستغرب أبداً أن يتعالم الجاهل، ولكن المستغرب أن يتجاهل العالِم!

ولقد خلط وللأسف بعض قيادات العمل الإسلامي بقصد أو غير قصد بين العالم المتخصص والمفكر الفاحص! وفي حين شبّه بعض المفكرين العلماء بأجهزة الحاسوب، اتهم بعض العلماء المفكرين بأنهم كالحلوى لها طعمٌ حلوٌ ولا فائدة لها. وبهذا زهد كل منهم في الآخر، وألغى دوره.

والحقّ والواقع يثبتان أنه لا غنى لكل طرف عن

الآخر، وأنه لا يمكن لأحدهما أن يؤدي دوره كاملاً دون عونٍ من الآخر.

ويظهر لي أنّ من أسباب هذا الخلط حالةَ الإقدام لدى البعض، مع طبيعة الجمود الفكري لدى جملة كبيرة من المتلقين، مع شيء من حسن النية، مدفوعة بمشكلة الانفرادية والاغترار بآراء بعض الجماهير.

والعجيب أن المتفحص لهذا الإشكال يجد أن كلتا الطائفتين تعولانِ على أداتين خطابيتين مشتركتين هما: الكلياتُ والمنفيات.

فالعلماء مثلاً يحتجون في جملة من المسائل المعاصرة أو القديمة بإجماع (كل علماء الأمة)! ولا ريب أنّ (الإجماع) متفق على حجيته بالشروط المعروفة، ولكنّ المشكلة أننا عند التدقيق نجدُ هذه المسائل التي ادّعي الإجماعُ فيها خارجةً عن حدّ الإجماع! فضلاً عن أن يكون هذا القول أو ذلك محل اتفاقِ (كل) علماء الأمة!!

وكذلك يستخدمون أداة (النفي) المستقاة من أدلة النهي عن بعض الأقوال أو الأعمال، دون مراعاة درجات النهي وملابساته فضلاً عن ثبوته أو نسخه؛ لتصبح هذه الأداة نفياً لأي رأي قابل للتأويل أو التعطيل!

وتجد في المقابل أن المفكرين يعتمدون كذلك على قاعدتي الكليات والمنفيات ولكن من منظور آخر.

فهم يحتجون بالكليات الشرعية والمقاصد والقواعد الكبرى، ليمرروا تحتها مئات الأحاديث وعشرات المسائل الخطيرة، فهم يعترضون على أحاديث الآحاد، وما يتوهمون أنه يتعارض مع القرآن، فضلاً عن رفضهم قبول آراء الفقهاء ولو اجتمعوا طالما أنهم رجال وهم رجال!

كما أنهم يحتجون بقاعدة (المنفيات)، فيقولون: لا يوجد أي دليل يحرم هذه المسألة، أو أي نص يمنع هذا الفعل، هكذا وبكل سهولة وجراءة، وكأنهم جردوا المتون ووقفوا على كل النصوص، وامتلكوا من البصرِ بالعربيةِ ودقائقها ما يحررون به دلالاتها ومعانيها!!

إن الأمر جدّ خطير؛ لأنه يفصم مفاهيم الناس عن أسس البحث النزيه، وطريقة الاستنباط الصحيحة.

والحق أن العلماء بحاجة إلى مزيد من الاستقصاء والتحري في المنقولات من النصوص الشرعية أو الآراء العلمية، مع اتزان ونزول للواقع. كما أن على المفكرين عدم اللجج فيما يشغب على الناس، أو الاكتفاء بالسياحة في اختيارات المعاصرين ونظرات المتأخرين مهما طالت ألقابهم وتعددت مناصبهم!

فالعالِم الحق هو أصل في البناء المستمر لنهضة الأمة، والمفكر الواعي هو الترجمان لواقع الناس، والمعين لاجتهاد العلماء.

أما أن يتحول المفكر إلى مفتٍ تحت غطاء الفكر الإسلامي والاجتهاد العصري والنظر الاستراتيجي، والواقع الدعوي، وبأدوات الاستقراء والمقارنة والتحليل الإداري والنفسي والدعوي فإن هذه مأساة ليس لها إلاَّ الله. ولن نؤمن بخطورة هذا الوضع إلاَّ إذا آمنا أنه يمكن للبقَّال أن يأخذ مبضع الجراحة ليعين النساء على الولادة، علَّ الله أن يخرج على يديه القادة الأبطال ورجال الأمة وصناع الحضارة!!

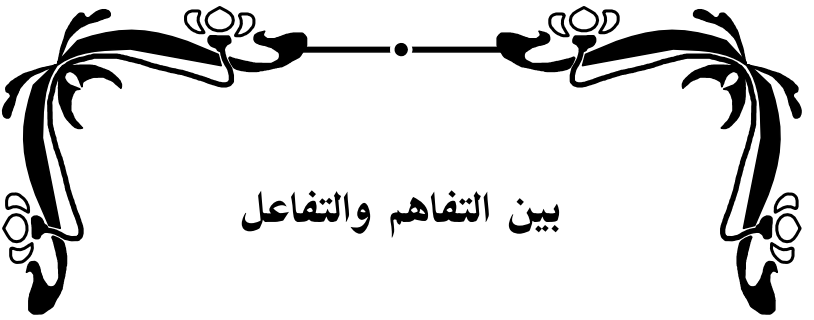

بين التفاهم والتفاعل

مفردات اللغة العربية واسعة وعميقة، ولذا قد تجد للكلمة الواحدة المعاني الكثيرة التي تُفسَّر بها النصوص بشكل مختلف في بعض الجوانب المهمة كالشرعية والأدبية، بينما لا يسهل الاعتراف باختلاف النصوص في جوانب أخرى كالاقتصادية والأخلاقية!

فلغة الرقم والمشاعر لا تتحمل الفذلكة والطيبة وصدق النوايا، بينا يمكن أن تُمرر في غيرها بالتأويل أو إيكال المرء إلى نيته!

وللأسف فإن كثيراً من المتحدثين عبر الوسائط المختلفة يخلطون بين الأماني والواقع، أو بين ما ينبغي أن يكون وبينما هو كائن، ولربما يستخدمون أدوات الخطاب في غير محلها ومناسبتها، فأحياناً يعتمدون على سرد الإحصاءات لتصويرها على واقع غير سليم، ولربما يقيسون الفتيا على مجتمع غير المجتمع المقاس عليه، وقد يُجيِّشون الأفكار،

ويستدعون الكتاب، ويرصّون الصور ليشيعوا أو ليقولبوا ما استطاعوا من رؤى وأيديولوجيات.

ولربما يكون هذا المدَّعي للمعرفة والثقافة عبر الوسائط المختلفة ناصحاً أو مغفلاً ساذجاً حين يريد أن يصور الأحداث في غير تراكيبها، والآراء في غير وقائعها!

فالزوج مثلاً الذي يريد أن يقنع زوجته بخالص محبته، ودوام مودته، وحسن عشرته، وعدم تنازله عنها، أو النكران لساعات الوداد والعيش حلوه ومره معها، وهو بعيد عنها طوال العام، ويتغازل مع غيرها من سويداء قلبه، لا شك أن ادعاء هذا الزوج الرغبة في كريم العيش معها، والتمدّح والتصابي في جنابها هو نوع من الجنون، طالما أن الحقيقة والواقع متفقان على خلاف ما هو عليه!

إنه مهما حاول المصلحون والمحكِّمون التدخل للإصلاح والتفاهم وإعادة المياه إلى مجاريها كما يقال فإن ذلك لن يجدي شيئاً، ولو كانت اللغات المستخدمة في الحوار جامعة بين المنقول والمعقول، وهزهزات الضمير والتشهير في المحاكم.

إن التفاعل والانسجام لا يمكن أن يتحقق في ظلال الخوف والقلق والتربص والأنانية، وهذه التركيبة هي محقٌ للعيش الهنيء، ومعولٌ لهدم أي مشروع بنَّاء!

فالحكومات والساسة لن يجدوا طعم الراحة المطلقة وهم ينقمون على أتباعهم ويمكرون بهم والعكس بالعكس. والمغفَّلون الذين لا يفرقون بين المصالح والمفاسد، وخطأ الفرد وخطأ الجماعة كمن لا يفرّق بين الحب في الله والبغض في الله!

إنه لن يتأتى لأي جماعة إسلامية أو دولة مدنية أو بيت أسري درجات التفاعل الإيجابي والتفاهم الودي لأي نقاط الاختلاف الداخلي؛ ما لم يتم الاعتراف الداخلي بهذا المبدأ وتطبيقه حباً، قبل أن يكون تديناً أو قانوناً.

ومع تحقق مبدأ الاعتراف والتطبيق فإن الخلل وارد، والخطأ حاصل طالما بقي الشيطان، ولكنَّ المفرح أن العودة الصحيحة، والفيئة السريعة ممكنة طالما بقي هذا المبدأ قائماً من الجميع.

وقد أكّدت عِبرُ التاريخ أنَّ الصادق في توجهه يُسخَّر له ما تَقَرُّ به عينه ولو بعد حين، وأنَّ الأناني المتَّان كبيراً أو صغيراً يُقيَّض له شيطانٌ فهو له قرين!!

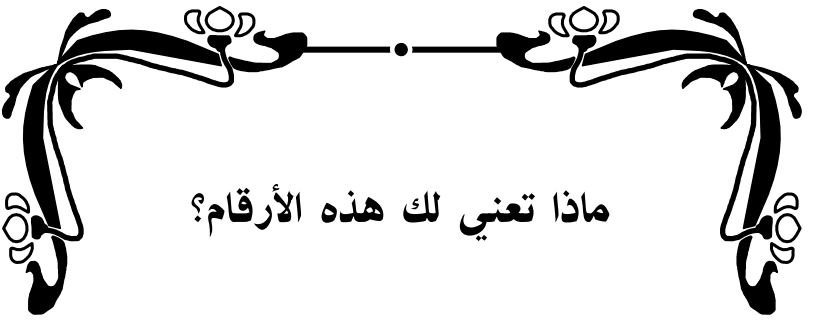

ماذا تعني لك هذه الأرقام؟

كنا ونحن صغار ننتظر نتيجة الاختبارات التي يعلنها الأستاذ في المرحلة الابتدائية على الملأ، فإذا كانت النتيجة عالية ضحكنا ورفعنا رؤوسنا، وإذا كانت النتيجة متدنية خجلنا وأطرقنا رؤوسنا وربما دمعت أعيننا!

نعم، فلربما لم ندرك بعد أسباب الإخفاق، لكنَّ مشاعرنا كانت على الفطرة، ذلك أن لغة الأرقام كانت تهزنا من الأعماق هزاً، ولو كنا لم نبلغ سن البلوغ!

واليوم وفي عالم الأرقام المذهلة، والحقائق المكشوفة، ونحن في عالم الوعي والحقيقة المتمثلة في الصوت والصورة والتحليل، ماذا سنقول؟

ما هو يا ترى تعليقنا، أو ردَّة فعلنا لهذه الحقائق؟:

- ضرب ملجأ بغداد بصاروخ موجه من سفينة حربية أمريكية في مياه الخليج، ضد مدنيين يجتمعون فيه، في ٢٧ (فبراير) ١٩٩١م.

- رفض الولايات المتحدة إصدار أي قرار من مجلس الأمن يدين اغتيال الشيخ أحمد ياسين، الذي قصف وهو على كرسي بعد صلاة الفجر **٢٢** (مارس) **٢٠٠٤**م، وبعده في **١٧** (إبريل) **٢٠٠٤**م اغتيال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي.

- في **٧** (أكتوبر) **٢٠٠١**م غزا جورج بوش الابن أفغانستان مدعياً أنه مكلف بمهمة إلٰهية! مستخدماً القنابل الفراغيَّة، التي ألقتها الطائرات العملاقة (TU2) القادرة على خرق الإسمنت حتى عمق (**٣٠**) متراً تحت الأرض!

- هدى غالية (٧ أعوام) قتل والدها وأمها وإخوتها الثلاثة، يوم الجمعة **٢٠٠٦/٦/٩**م، وهم يتنزهون يوم عطلتهم على شاطئ غزَّة. ورآها العالم وهي تصرخ بألم شديد: لا تتركوني وحدي، ولم يتحرك ضمير يدين! ويوم الأحد **٢٠٠٦/٦/٢٥**م أسر الجندي اليهودي (جلعاد شليط) بعملية عسكرية قانونية شرعية بموجب القوانين الدولية، وميثاق الأمم المتحدة، فأسر ثمانية وزراء من الحكومة الفلسطينية، وأربعة وعشرون نائباً في المجلس التشريعي، واعتقل رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني الدكتور عزيز دويك في **٢٠٠٦/٨/٥**م!

- خلال (**٣٣** يوماً) من **٢٠٠٦/٧/١٢**م إلى **٢٠٠٦/٨/١٤**م،

قتل أكثر من ألف مدني، وشكَّل الأطفال أكثر من (٣٠٪) من ضحايا الحرب العدوانية الإسرائيلية على لبنان، التي ألقي فيها (٢٠٠ ألف) قذيفة متنوعة، وأكثر من (١٠٠ ألف) قنبلة من القنابل التي لم تنفجر، والتي أدانها السيد (كوفي عنان) في ٢٠٠٦/٨/٣١م أثناء زيارته للمنطقة، ولكنه لم يطالب بأي عقوبات!

- في يوم الجمعة ٢٠٠٦/٨/٤م، وافق الكونغرس الأمريكي على مشروع قانون يُلزم وكالات الإغاثة بإبعاد الحيوانات الأليفة عن مناطق الكوارث (الأعاصير)، وفي نفس هذه الفترة لم يتخذ أي إجراء حول: نقل الجرحى في حرب لبنان، واستخراج الناس من تحت أنقاض بيوتهم المهدَّمة!

- في يوم الإثنين ٢٠٠٦/١٠/٩م، قال الدكتور (دوني جورج) الرئيس الأسبق للهيئة العامة للآثار في العراق: سرقت (١٥,٠٠٠) قطعة أثرية من متحف بغداد، وحطم اللصوص ما لا يقل عن (١٢) باباً للوصول إليها، حيث رافقتهم شاحنة فارغة للجيش الأمريكي ورافعة.

- في كلمة رئيس وزراء اليهود (إيهود أولمرت) يوم الأربعاء ٢٠٠٦/٢/٢٥م، أمام الكونغرس الأمريكي بمجلس الشيوخ والنواب، وقف له المجلس الموقر

ثماني عشرة مرَّة، في حين لم يصفق لأولمرت في الكنيسيت الإسرائيلي، ولم يقف له أحد!

وبعد: فإن التاريخ لا يزال يسجّل في صفحاته سجلات الأحداث، ويكتب معها رجالات المجد، وبناة الأمم، وكذلك يرفع ألوية الغادرين، والغافلين، والراقدين!

ورحم الله (عمر أبو ريشة) عندما وصف موقف الجنرال (غورو)، حينما وقف أمام قبر صلاح الدين، وضرب برجله ضريحه! وقال له: «يا صلاح الدين، أنت قلت لنا في إبَّان الحروب الصليبية: إنكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا إليه، وها إننا قد عدنا، فانهض لترانا هٰهنا، لقد ظفرنا باحتلال سورية»!

قال أبو ريشة مصوِّراً هذا الموقف الأليم اللئيم:

ربَّ غازٍ أذلَّ جاء صلاح الدِّ ينِ في هدأةِ الخلود المُهَابِ
هاتفاً في رميمه الطهر: إنا هٰهنا يا صلاح يا لَلعَاب
إنَّ للمجد دمعةً حين يلقى جثَّةَ الليث عرضة للكلاب

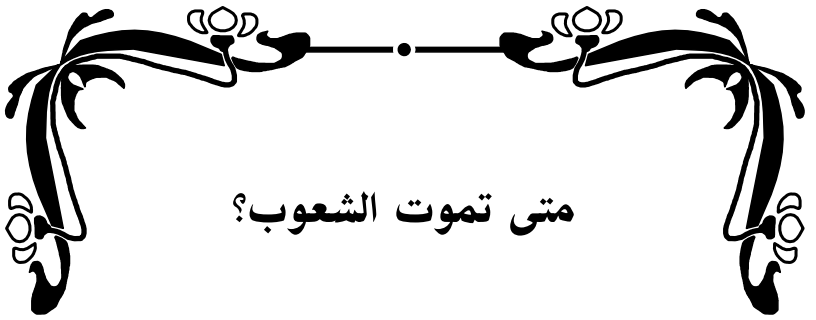

متى تموت الشعوب؟

تعلمت الأمة الإسلامية وعلمت غيرها في أسابيع متواصلة درس العزة والبقاء والشموخ!

تلك الأسابيع التي عادت فيها (سايس بيكو) من جديد!.

عادت سياسة الحدود والحواجز بين المسلمين، والتمسك بالجنسية على حساب العقيدة.

ففي اللحظات التي صمت فيها الأقوياء، نطق العاجزون، نطق الأحرار، نطق كل مَن رفض السياسة القديمة والجديدة!

سياسة قريش القديمة في الحصار والتجويع للمؤمنين، وسياسة (سايس بيكو) الجديدة في منع الغذاء والدواء.

واجتمعت السياستين على نظام واحد: (أن يأكل القوي الضعيف)!

لقد ضجت كل خلية في إخواننا في غزة، وارتفعت منهم الآهات، وتعرَّت منهم الأجساد، وظنّ اللئام أن المسلمين نيام!

ظنوا أن تركيع الشعوب بمنع لقمة الخبز، وشربة الماء، لكنَّ الذي ركع حقيقة هو مَن صمت من الأقوياء والكبراء، من المعاقين الجدد فكرياً وروحياً، ونسي هؤلاء أن الخلق عيال الله!

فشلت خطة الكلام فهيا نسمع الرأي من فم الصنديدِ
لا تردُّ الحقوقُ في مجلس الأمن ولكنْ في مكتب التجنيدِ
الشكاوى إلى المجلس لغو وأزيز الرصاص بيت القصيدِ
إن ألفي قصيدة من كلام لا تساوي قذيفةً من حديدِ

إن غاية ملل الكفر من تجويع إخواننا في غزة هي إماتة الانتفاضة والنهضة والمقاومة، إماتة القلوب التي تتحرك، والعقول التي تفكر، إماتة كل نهوض للبقاء.

وإذا كان الغرب قد صمت على إماتة المقاومة والنهضة في غزة، فقد صمت قبلُ على إماتة كل نهضة أنتجتها الأمة؛ ومن صور ذلك:

١ ـ **حسن كامل الصبَّاح**: من لبنان، الذي برع في الرياضيات والطبيعيات، وهاجر إلى أمريكا، وعمل في شركة (جنرال إلكتريك) بنيويورك، وسجَّل هناك أكثر

من سبعين اختراعاً، وسُمِّي لأجلها: (أديسون العرب)، واخترع أجهزة في التلفزة، وأخرى لتحلية مياه البحر. مات في حادث غامض حينما أراد الرجوع إلى بلده نهائياً عام **١٩٣٥م!**

٢ ـ **مصطفى مشرفة**: من مصر، أحد أهم عشرة علماء في الفيزياء بالعالم، مات في أمريكا مسموماً عام **١٩٥٠م!**

٣ ـ **سمير حبيب**: من مصر، من علماء الذرة، مات في ظروف غامضة قبل عودته بيوم واحد إلى بلده، عام **١٩٦٧م!**

٤ ـ **سعيد السيِّد**: من مصر، لقب (بأنشتاين مصر)، وهو ثالث ثلاثة من علماء الفضاء، رفض العمل بوكالة الفضاء (ناسا)، فقتل فوراً سنة **١٩٨٩م!**

٥ ـ **سميرة موسى**: من مصر، اكتشفت طريقة لتفجير ذرات المعادن الرخيصة؛ كالمعادن، واستخلاص طاقة نووية منها، ماتت في حادث سيارة غامض بكالفورنيا سنة **١٩٥٣م!**

وعشرات الرجال والنساء من عمالقة الأمة!

إن الشعوب تموت يوم تُسلِّم نفسها لأعدائها، وتتهاون بقدرات أبنائها.

إن الشعوب تموت يوم تستسلم لصيحات الماكرين، وتحني رأسها ذلاً لكسب الجاه والمال.

إن الشعوب تموت يوم تلقي بيدها إلى التهلكة لا بيد أعدائها، وذلك يوم تترك المقاومة وخيار المقاومة!

عن أسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خَرَقَه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية إنها نزلت فينا، صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر، اجتمعنا معشر الأنصار نجيّاً، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره، حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم، فنزل فينا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾. قال ابن كثير: «فكانت التهلكة في الأهل والمال وترك الجهاد!». فلا نامت أعين الجبناء!!

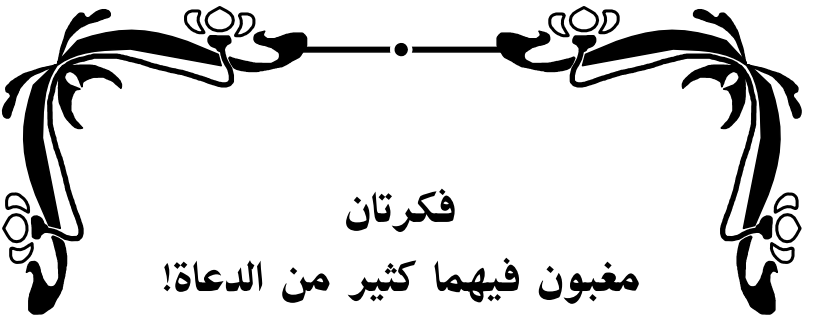

فكرتان
مغبون فيهما كثير من الدعاة!

في أي محفل لافتتاح مشروع كبير نسمع الديباجة: «على بركة الله نفتتح مشروع...».

وهذه اللفتة الإيمانية التي يعلن فيها مؤسسو المشاريع الكبرى مدى حاجتهم لإعانة الله وتوفيقه وتسديده، تتوازى مع ما يفخرون به من تأسيس لمشروع جبَّار، سهر لأجل إنجاحه العاملون الجادون، والمفكرون المبدعون، وسارعت وسائل الإعلام لتغطيته، وتوعية المجتمع بمضامينه.

وكثير من الدعاة يريد أن تكون له مكانة وحظوة في المجتمع، كما يريد أن تكون له مؤسسات تحيط بمشاريعه إحاطة السوار بالمعصم دعماً وتطويراً ونشراً.

ولكن ـ وللأسف الشديد ـ نجدُ كثيراً من الدعاة مغبونين في فكرتين عميقتين هما:

١ ـ **القيمة المثلية**: حيث يظن بعض الدّعاة أنَّ مجرد

حصوله على شهادة عليا، وافتتاحه موقعاً إلكترونياً، وتأليفه كتاباً كافٍ ليَذيع اسمُهُ في الأوساط! وأنَّ شيئاً من العلاقات مع الوجهاء والمثقفين وأصحاب القرار عبر رسائل البريد أو الجوال خلال مواسم الأعياد والمناسبات السارة القليلة، كفيلٌ بأن يجعله من المؤثرين الذين ترسخُ أسماؤهم في ذاكرة المتابعين، وتُفتح لهم صالونات المثقفين، وبوابات المسؤولين، وأعمدة الصُحفيين...!

وربما ظنّ هذا البعضُ بوعي أو بغير وعيٍ أنّ بإمكانه في عصر العولمةِ اختصارَ الوسائل والطرائق؛ ليكون في القيمة العطائية والبروز في المجتمع، والتأثير في الفكر، تماماً مثل فلان أو فلان!!

إنّ قيمة كل إنسان ليست بالصور ولا المظاهر ولا صفحات الجرائد، ولا الإحاطة (بكاريزما) من التلاميذ والموظفين المستأجرين، إنما هي بقيمة الإنسان نفسه!

قيمته العقلية: التي تجعله يحسن التدبير والتخطيط، ورسم المنهجية الرشيدة في العلاقات الصحيحة مع المحبين والمخالفين، والمتوجسين والمعارضين، والناصحين والحاقدين.

وقيمته النفسية: التي لا تنفعل بمجرد نجاحات الآخرين، وتُحبط لمجرد نقد الناقدين، أو تتلون بحسب بيئات عمل العاملين!

وقيمته القلبية: التي تحمل مقادير كبيرة من الأمن والإيمان، والصلاح وسلامة الروح، والدلالة على كل ما يرضي المولى، والحذر من مغبات الهوى والشيطان والنفس الأمَّارة بالسوء.

إنها قيمة الإنسان فيما يحسن من العلم والمعرفة، والعطاء والهمة، والتفكير والتخطيط، والصدق والصلاح، والحكمة وفهم النفس البشرية!

وهنا يحسن تدبر حياة الناجحين الذين سلكوا دروب العزة والتوفيق والسؤدد والسعادة، ليتعظ المرءُ بذلك ويعظَ غيره، ومن ثمَّ يحق له أن يزخرف الصورة ويلونها عبر أجهزة العصر على البوابات والجدران إن رأى مصلحة!

وصدق أحد الدعاة عندما قال: العاديون من الناس يسألون: من أين نبدأ وأين الطريق؟ أما الرواد وأهل البصيرة، فإنهم يعلمون أنه ليس أمامهم طريق، فخطاهم هي التي ستشق الطريق!

٢ ـ **القيمة المؤسسية**: كما يظن البعض الآخر من الدعاة أنّ مجرد رفع الصوت، والمقارنة بمشاريع الدول والمؤسسات الكبرى، وعرض بعض الصفحات الملونة على برامج (power point) كافٍ ليبوئهم مكانة مرموقة، مثل فلان أو فلان الذي استطاع أن يفتح مؤسسة ومكتباً خاصاً، فيه

تُدار شؤونه، وتلبى جميع حاجاته العلمية والثقافية والاجتماعية، مروراً باهتماماته الأخرى أيّاً كانت.

والذين يعيشون في الأحلام من هذا الصنف الدعوي كثير!

فليست المطالب بالتمني، ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً!

إنَّ جملةً من هؤلاء يريدون أن يختصروا الزمان، وهذا جيد، ولكن كيف؟

إنهم يريدون بهذا الاختصار أن يُولدوا كباراً، وأن تتدفق الأموال عليهم بكل حب وأريحية لإنجاز مشاريعهم!!

ومرَّة أخرى ومع نداء شوقي: (ولكن تؤخذ الدنيا غلاباً)!

إنه ما لم تتحركِ الضمائر، وتصطلح القلوب، وتتعالَ النفوس، ويخطط العقلاء، وتتضافر الجهود، وتُمنهج الأفكار، وتُرسم الخطط، وتُقَسِ الأعمال، وتُقنَّن النظم، فسيؤول فكر هؤلاء الدعاة إلى سراب، وأحلامهم إلى أضغاث!

ودولة السيف لا تقوى دعامتها ما لم تكن حالفتها دولة الكتب

ليس من واجب المؤسسات الدعوية ولا الحركات الإسلامية أن تتحول إلى بنوك، وشركات دعائية، إنما دورها

أن تصنع الإنسان القدوة، بالملكات الحقيقية التي سخرها الله فيه، وقدر على تفجيرها. ومن ثَمَّ يكون البناء الرشيد للكيانات بلا تقتير ولا إسراف، وأن يكون التنافس الشريف، والتخطيط المدروس، والدعم بلا حدود!

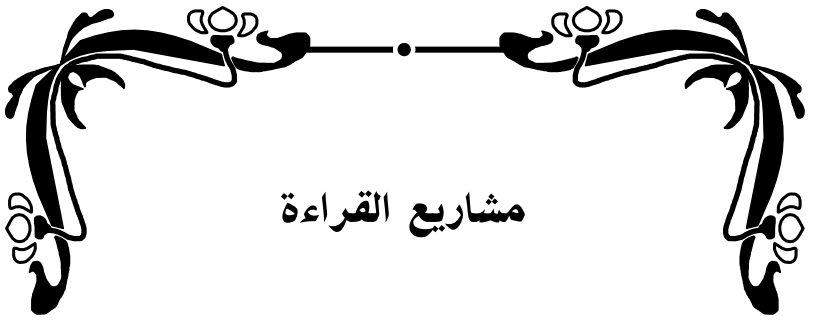

مشاريع القراءة

تحتل الصورة اليوم المقام الأعلى في حياة الناس، وهي الرقم الأصعب في التأثير والتغيير.

والكم الهائل الذي تحركه الصورة إنما يلعبُ على وتر العواطف بالدرجة الكبيرة.

وعلى قدر ما يُبث من أرتال المعلومات والحقائق، إلاَّ أن الموجود في الكتب يبقى هو الأكثر عمقاً والأصدق لهجة، حيث لا تمسه اليد بالتغيير أو الاختيار أو الحجب، لإمكانية الوصول إليه، بينما تتحرك الصورة الإعلامية وفق معايير تجارية وسياسية، قابلة لكل شيء!

فوزراء الثقافة العرب يجتمعون على التنقية والتصفية في آن واحد، لكل ما يُملى عليهم، وما يجب بثه أو حذفه في عالم الفضائيات. بينما الكم الهائل من النفاق والسياسة والكذب يُنفق عليه ما يضفي أجواءً جميلة وساحرة للمواطنين! لكنك في عالم الكتاب بعيد عن هذه السياسة...

أنت مع عالم الكتاب تمد يدك لكتاب سلوكي يهذب نفسك، ويزكي قلبك، فتقرأ فيه ما قال جعفر الخُلْدي: لم نرَ في شيوخنا مَن اجتمع له علم وحال غير الجنيد، إذا رأيت علمه رجحته على حاله، وإذا رأيت حاله رجحته على علمه.

وقول الجنيد: لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله.

وقول أبي الفتح البُستي: مَن أصلح فاسده، أرغم حاسده.

ثم تنتقل إلى الأدب فتقرأ في عيون الشعر، وحكم الشعراء.

فتتحسَّر على حالك وأنت تنظر الأبيات التي أبكت نظام الملك، الحسن بن علي الطوسي:

إذا مرضنا نونيا كلَّ صالحةٍ فإن شُفينا فمنا الزيغ والزللُ
نرجو الإلٰهَ إذا خفنا ونُسْخطه إذا أمنَّا فما يزكو لنا عملُ

وتهزّك تارةً الأبيات التي كان سعيد بن المسيب يضرب برجله الأرض عند سماعها:

تضوَّع مسكاً بطنُ نُعمان إذْ مشتْ به زينبٌ في نسوةٍ خَفِراتِ
لها أرَجٌ من مَجْمَرِ الهندِ ساطعٌ تطلَّع ريَّاه من الكَفِرات

يُخبِّئنَ أطرافَ البَنانِ من التُّقى ويَخرُجنَ جُنحَ الليل مُعتجِراتِ
وليستْ كأخرى وسَّعت جيبَ دِرعها وأبدتْ بنانَ الكفِّ بالجمراتِ
وقامت تُرائي يوم جمعٍ فأفْتَنَت برؤيتها مَن راحَ في عرفاتِ
ولما رأت ركْبَ النُّميريِّ أَعرضتْ وكنَّ من أن يَلْقينَهُ حَذِراتِ

وتمرُّ ثالثةً على التاريخ والسير، فتقرأ في أخبار الفتوحات الخالدة فتح العراق في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بقيادة خالد بن الوليد الذي اتجه للجنوب، وعياض بن غنم الذي اتجه للشمال، وما أبلاه خالد من بلاء حسن في موقعة ذات السلاسل، ثم توجهه إلى الأُبلة ثم الأنبار ثم عين التمر، وكان من بركات فتحه أربعون غلاماً نصرانياً؛ منهم: سيرين والد التابعي القدوة محمد بن سيرين، ونصير والد القائد البطل موسى بن نصير فاتح الأندلس، وجد الشاعر الموهوب أبو العتاهية.

ثم ما كان من فتح المدائن على يد سعد بن أبي وقاص، حين قسَّم جيشه إلى كتيبتين؛ هما: (كتيبة الأهوال) بقيادة عاصم بن عمرو، و(الكتيبة الخرساء) بقيادة القعقاع بن عمرو، وكيف دخلوا عباب البحر بفرسانهم فصمدوا بعزيمة المؤمنين المتوكلين واستطاعوا أن يتفوقوا بالبدء برمي النبال وهم بداخل البحر على أعدائهم الذين كانوا ينتظرونهم عند الشاطئ حتى انهزموا!

وهكذا يتم المرور على عشرات الفتوحات التي أبانت

أين وصل المسلمون الأبطال، وكم تحملوا، وما هي الرسالة الخالدة الراقية التي حملوها للعالم، من أخلاق راقية، ومعاملة حسنة، لتبني كل هذه المطالعات في نفسك قيماً من الصبر والعزيمة على المضي في سبيل الله.

ثم بعد ذلك تطلع على عشرات من كتب التربية وعلم الاجتماع فتقرأ ما آل إليه الغرب من تدهورٍ في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، وأن (٣٣٪) من النساء الأمريكيات يتعرضن للضرب سنوياً، وأنه يقتل (٣) نساء يومياً في المتوسط، وأن معدل الطلاق لديهم وصلت إلى (٥١٪). وهذا كله في بلد التكنولوجيا والحرية والديمقراطية (أمريكا العظمى)!!

وهكذا تنمو فكرياً وسلوكياً وروحياً، وتتحول لديك القراءة إلى وعي ثم سلوك نابع من نضج متكامل.

إننا بحاجة ماسَّة إلى جعل (القراءة) مشروعاً حضارياً على جميع المستويات: (البيت، المدرسة، المسجد، النادي، الرحلات، الجامعات، المؤسسات، البرامج الفضائية...).

إن التشجيع وحده لا يحقق سوى النفضة الأولية للعقل، أو الضرب على الأعصاب الباردة، بينما الحل الأوفى

والمأمول هو احتضان الجيل في مشاريع قراءة مبدعة ومختارة.

ولعل تجربة (نادي القلم) و(مشروع مثقف) الموضح في موقع: (4shbab.net)، فيه تفصيل وبيان لما أريد.

فطوبى للمثقفين...

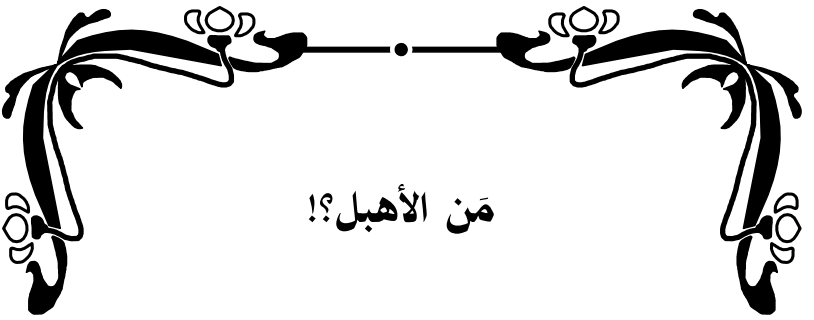

مَن الأهبل؟!

تتفق لهجات الدول العربية على مفهوم كلمة: «الأهبل»، فمن العبارات الدارجة في قواميس لهجاتنا العامية حول هذه الكلمة: «دا بيستهبل» باللهجةِ المصرية، و«بلا بلاهة» باللهجةِ الحجازية السعودية، و«عَمْ يستهبل» في اللهجة الشامية.

ولو تأملنا كل هذه العبارات لوجدنا أنها لا تشير إلى إنسان فاقد الوعي، أو مغيبِ العقل، وإنما هي تتحدثُ عن شخصٍ كامل الوعي لكنه «يستهبل»!

بمعنى آخر هل يمكن أن يكون التاجر الفطن الذي يخطط لمشاريعه «أهبل»؟

وهل يمكن أن يكون الذكي المفكر المبدع مؤلفاً كان أو كاتباً أو مخرجاً سينمائياً «أهبل»؟

وهل يمكن للشاب الوسيم النضر المتكامل الجسم، المتعافي، التام الصحة أن يكون «أهبل»؟

وهل يمكن للقوي المتمكن المتمرس بكل عوامل القوة أن يكون «أهبل»؟

وهل يمكن للمرأة الرقيقة الرشيقة البالغة الخبيرة أن تكون «هبلاء»؟

وهل يمكن للأستاذ القارئ المتخصص الموجه أن يكون «أهبل»؟

وهل يمكن للمجتمع الواعي المتحضر المثقف العارف بتاريخ ما قبله وما هو عليه حالياً أن يكون مجتمعاً «أهبل»؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة السخيفة ربما، أذكِّر بتلك الكلمات العامية المستقرة في الأذهان: «دا بيستهبل» و«بلا بلاهة»، و«عَمْ يستهبل».

وحين نتأملها نجد أنها تتحدث عن الإنسان الذي «يستعبط» أو «يستهبل» أو «يخادع» نفسه قبل الآخرين!

نعم، يمكن أن يكون كل مَن سبق ذكره: التاجر والمثقف والمعلم والشاب والمرأة والمجتمع «أهبل»؛ لأنها كلمة يتصف بها كل مَن تحلَّى بأخلاقها.

فالتاجر المسلم الذي يملك الملايين، ويطلق في جو السماء قنوات رخيصة راقصة، وأفلام مهيجة، وتسأله عن ذلك فيقول: الحمد لله، أنا عندي برامج إسلامية طيبة، وهذه البرامج للتسلية ولا تمنع الإنسان عن الصلاة! فيا ترى، هل هذا «يستهبل»؟

وعندما تسأل الشاب المملوء نضارة وحيوية وجمالاً وفي تمام صحته، لماذا تنظر للنساء اللواتي لا يحل لك النظر لهن؟ يقول: أنا «أكحّل عيني فقط»، وتسأله أليس هذا عيباً؟ فيقول: لا، أنا عندي حدود وخطوط حمراء! فيا ترى، هل هذا «يستهبل»؟

وعندما تسأل شاباً يعمل في مهنة شريفة، وليس عنده أي عوائق أو عاهات، لماذا تسافر لتبحث عن الحرام، أو تتجه صوب الأماكن المحرمة للمتعة التي تقترف بسببها ذنوباً، وأنت بكامل عافيتك، فيقول: الأمر أكبر من قدراتي وتصرفاتي! وتتساءل: هل هذا يا ترى «يستهبل»؟

وتفاجئك مخرجة مسلمة تصور اللقطات المثيرة الآثمة، فتسألها: لماذا تصورين اللقاءات الحميمة؟ فتقول: ليعيش المشاهد الصورة على حقيقتها، فتقول: ولكنه يقع فريستها بسببك، فتقول: أنا مجرد مصورة ومخرجة للواقعة، ولست مسؤولة عن تصرفات الإنسان! وتتساءل: يا ترى هل هذه «تستهبل»؟

ويتقلد مسؤول أمانة شعب، فيرى الدماء تُسال صباح مساء، ويرى البيوت تدك على الرؤوس أمام الأشهاد، وتسأله: أين دورك؟ فيقول: لا بد من حلٍّ عادل وسلمي للموقف، وإذا تكلم أحد عليه قلب الدنيا، وطالب بإقامة

الحدود القانونية والعرفية والشرعية! فتسأله: أليست حقوق الناس متساوية لديك يا سيادة المسؤول؟ فيقول: نعم، ولكنها الأولويات والاستراتيجيات وخارطة الطريق! وتتساءل: يا ترى، هل هذا المسؤول «يستهبل»؟

وتقلّب النظر في حال فئام من الشعوب فتجدها «مهيصة»، وكأنه ليست هناك قضية وتآمر وتغريب وتخريب وتفتيت لبنيتهم، ويقولون: «الذنب على اللي جاب المشكلة ونحن اللي فينا مكفينا»، وتتساءل: هل هذه الشعوب جادة في كلامها وتصرفاتها أم أنها «تستهبل»؟

إنه من المعتمد والمقرر عرفاً وعقلاً وقانوناً وشرعاً أن الأهبل الأحمق التصرف لا أهلية له!

إذاً، فليحاسب كل منا نفسه ويتساءل هل هو فاقد الأهلية أم لا؟! ولتحاسب الأمة نفسها كذلك هل هي فاقدة الأهلية أم لا؟!

ورحم الله الغزالي عندما قال: «إن الله أراد لنا أن نكون العالم الأول، ولكننا اخترنا لأنفسنا أن نكون العالم الثالث»!

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا
ونشكو ذا الزمان بغير جرم ... ولو نطق الزمان إذنْ هجانا
وليس الذئب يأكل كل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

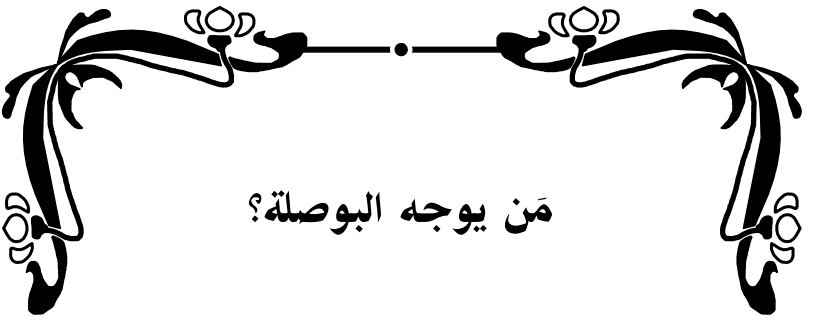

مَن يوجه البوصلة؟

في معارك (السوم) وعلى مدار ثلاثة أشهر من أجل تبادل الاستيلاء على بضعة أمتار مربعة بين الألمان والحلفاء، قتل (١,٢٦٥,٠٠٠) جندي ألماني وفرنسي وبريطاني في مسالخ بشرية!

وهكذا تنتحر الفضيلة، وتنتهي الرحلة الإنسانية، وتتلاشى المشاعر البشرية، والقيم والأعراف الدولية، ويُقضى على كل ما يسمى بصيص أمل في الحياة!

هذه الألوان المزدحمة التي يصورها الفنان في لوحة تشكيلية تبدو وكأنها متضاربة صارخة سريالية الوجهة والفكرة، هي جزء من عملية القرصنة الفكرية التي تمارس على قرارات الفرد والجماعة والأمة في هذا العصر.

إن كثيراً من الأزمات والحروب النفسية والعلمية والبدنية في عمر الأمة، كان منشؤها فكراً أحادياً تتحكم فيه الأزمة الكارزمية لدى بعض أفرادٍ، حولوا طموحاتهم

الشخصية إلى تيار فكري عام في الأمة شغلها عن قضاياها المصيرية الكبرى.

وبوعي أو بلا وعي يتتلمذ نخب من الأمة على فكر هؤلاء النفر؛ ليقودوا ببوصلتهم الخاصة قضايا الأمة في العقيدة والفقه والفكر إلى حيث يريدون.

فإن تحدثوا في العقيدة، فعقيدتهم هي الصافية، وإن قالوا رأيهم الفقهي فغيره لا يدركه الورع، وإن جلجلوا في الفكر فمدرستهم هي المنهج والطريق الأقوم!

وهذه الاختياراتُ تحميها أطنان من الألقاب والأوصاف والكتابات والشعارات والكاريزمات تلقي على المتلقي حجباً كثيفةً، وتؤسسُ لمشروع (صناعة الأدمغة البشرية) عبر عمليات استنساخ فكري جديد!

فكم عصفت فتوى لبعض الشيوخ بأزمات طاحنة في الأمة وألهبت أوارها؟

ولا زالت طائفتان نكدتان في التاريخ الكالح للأمة؛ وهما:

١ ـ **الطائفة (الببَّغاوية)**: التي تكرس التقليد الأعمى، أو تخدر مفهوم الوعي واليقظة والبصيرة.

٢ ـ **الطائفة (الحرباوية) السلطوية**: التي تتلون حسب

الأحوال، فتقوي الفتاوى المعلبة النافعة لها، حتى إذا انتهت صلاحيتها رمتها ورمت منتجها!

والمستقرئ للتاريخ يجد أن توجيه الأمّة نحو البوصلة الصحيحة لا يكون إلاَّ بالصدق الداخلي، وعُدَّة العلم، وحجة البيان. وفي الدعاء النبوي: «**ثبِّت حجّتنا، وسدِّد ألسنتنا، واسلل سخيمة قلوبنا**».

وهذه الثلاثية هي بوصلة النجاح للأفراد والأمم. فالحجة لا تقوم إلاَّ على العلم، والبيان هو السلاح اليوم في شتى صوره وأشكاله، وصدق الفكرة والإرادة أيّاً كانت مدعاة لتحقيق المراد، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾، فالإرادة هم وفكر وعزم، ولكن الجزاء شيء آخر، بل والأهم منه جزاء مَن دلَّ الناس على هدى، ومَن جرهم إلى ويلاتٍ واحترابٍ فكري وفقهي وسياسي، كانت نكسته وبليته من الطائفة (الببّغاوية) و(الحرباوية).

وما لم يُفق علماء ودعاة ومربو الأمة لأداء دورهم الحقيقي العلمي الملموس في قياس اتجاه البوصلة، فعليهم وزر من حملها نيابة عنهم بقدر ما استطاعوا توجيهها!!

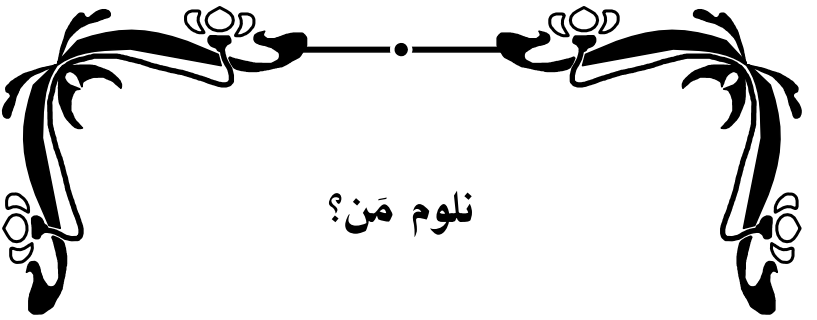

نلوم مَن؟

لا يوجد داعية أو خطيب أو واعظ أو أستاذ أو مربٍّ أو إعلامي أو كاتب أو مفكر أو شاعر أو منشد أو. . . ، إلاَّ ويشكو شيئاً محزناً في حياة الدعاة.

فالخطيب المتميز يعصر قلبه ألماً، ويعلن حزنه على بعض خطباء الصحوة من الشباب أو الشيوخ، الذين استهلكتهم المواضيع الرتيبة، وأصبحوا فريسة للإنترنت ينتخبون خطب هذا أو ذاك، ويصعدون بها المنابر، ويتخيلون أنهم بهذا يؤدون دوراً رائداً!

ناهيك عن شكواه من طريقة النطق، أو أسلوب التعبير، أو ضعف المادة، أو غياب الطرح، أو. . .

وتنصت في مجال ما إلى أحد الوعاظ، فيشكو إليك حال أبناء الصحوة، الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفتون بما يسمعون، دون أن يتأكدوا أو يفهموا حقيقة الفتوى! ويندد بأسلوب الوعظ القاسي، أو الزجر الجارح، وما إلى ذلك. . .

ويجمعك القدر مرة مع إعلامي صحفي أو تلفزيوني، فيبث لك هموماً لا يحسن بثها إلاَّ إلى الله، عن مستوى الإعلام لدى بعض أبناء الصحوة، وعن رتابة الطرق التي يحاولون بها الوصول إلى الناسِ، وعن رداءَة الأساليب المطروحة وعدم قدرتها على إقناع المتلقين.

ويحدثك عن جرأةِ غير الأَكفاء، ودخول مَن ليس أهلاً إلى ميدانِ الإعلام! ولا تزال تسمع منه شواهداً وقصصاً عن المجلة الفلانية، والشريط الفلاني، والمقالة الفلانية مما يستدل به على صحة ما يقول.

أما المربي فليس بأقلهم مرارة؛ فإنه يشكو إليك هزال الجيل من الناشئة وشباب الصحوة، ويظهر لك ألمه من ضعف ثقافته، وسطحية فكره، وتشتت علمه، وتعلقه غير المفيد ببعض شيوخه أو جماعته، وانصباغ أفكاره بقضايا لا تتزحزح، ومعلومات لا تقبل التشكيك أبداً! وكأن العصمة قد امتزجت بها! كما يشكو إليك قلةَ الجدية، وعدم القدرة على التكامل في البناءِ الإنساني... وأموراً صغاراً وعظاماً يتلوى منها...

إن من المهم أن يتربى جيل الدعاة والمصلحين اليوم على النقد الذاتي لإصلاح أحوالهم وأعمالهم، مع طرح

المأمول والمعقول من الحلول بالتوازي وبنفس الحماس، ولربما بنفس المقدار من الوقت!

وإلاَّ فَسَنُضافُ كأمثلةٍ جديدة لحقيقة قديمة تقول:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

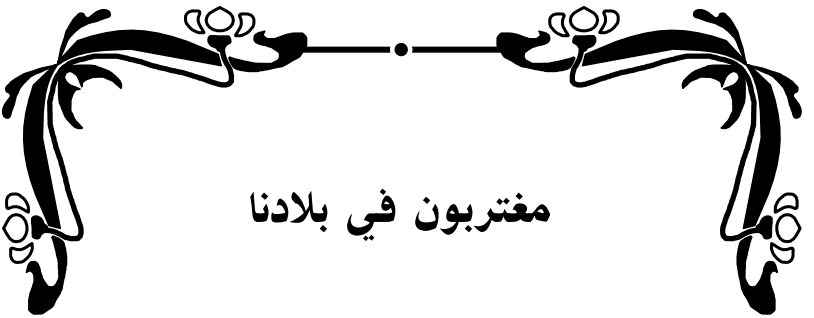

مغتربون في بلادنا

بعث إليَّ صديق عبر الإيميل مقالة متميزة للكاتب المعروف: نبيل شبيب، يتحدث فيها عن الحلقات التي سجلت في قناة (الحوار) مع الداعية الأستاذ: د.عصام العطار، في برنامج (مراجعات).

وطالب الكاتب، أن يستجيب الأستاذ: د.عصام لنداءات مَن يعرفه ومَن لا يعرفه لكتابة أفكاره وتجاربه وتقويمه لتجربة العمل الإسلامي. وشكر الخطوة المتميزة التي قامت بها القناة لعمل برامج حوارية مع عمالقة كهؤلاء.

وتساءلت في نفسي عن الكثيرين من العلماء والمفكرين والمثقفين والأدباء (المغتربين) الذين مرّوا على بلادنا، وعاشوا فيها سنوات طويلة، بل عقوداً متتابعة، والقليل من هؤلاء الكثير لم يعرف عنهم إلاَّ القليل!

نعم، قد نعرف عنهم النزاعات والصراعات والردود، وبعض رؤاهم الفكرية، ومدارسهم الدعوية، ومذاهبهم

الفقهية، ولكنا لا نعرف روائع أفكارهم الناضجة، وأسرار حياتهم المباركة، ولطائف إبداعاتهم وأعمالهم الماتعة.

لقد مرَّ على بلادنا المئات، فماذا عرفنا عنهم مما ينفعنا في حياتنا؟

- مرَّ على بلادنا المحدث الفقيه الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ـ رحمه الله ـ، صاحب الكتاب الذائع الماتع: «صفحات من صبر العلماء»، والذي ذكر فيه من القصص العجب العجاب، وكان قد روى فيه عن نفسه أنه كان في بعض الأحيان ينذر لله تعالى صلاة كذا وكذا ركعة إذا حصل على الكتاب الفلاني.

وأنه باع قطعة نفيسة من المتاع ورثها من والده ليشتري بها كتاباً!

وكان من لطفه أنه إذا رأى أحد المصلين لا يعطي الركوع حقه سأله: (هل تشتكي من ألم في الظهر؟). ورأى مرة رجلاً خلع نعليه وتركهما مبعثرتين، فقال له: صفَّ نعليك واجعلهما على طرف الجدار، وكان يقول: إني لا أستطيع رؤية النعلين بهذه الطريقة المزرية المؤذية!

وكان كثيراً ما يتصدى لعادات المجتمع الخاطئة بروح نقدية لاذعة، ومن صور ذلك: أن رجلاً أكثر الطلاق وجاء ليستفتي، فقال الشيخ محذراً: يحلف أحدهم بالطلاق عدد

حبات كيس الأرز ليمارس رجولته... ثم يقف أمام الشيخ ويقول: دبِّرني!

- ودرَّس في بلادنا الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ، الذي كان يقول: إذا رأيتَ فقيراً في بلاد المسلمين، فاعلم أن هناك غنياً سرق ماله!

- ودرَّس في بلادنا الدكتور الشاعر الفذّ: عبدالرحمٰن البارود، من غزة، الذي عرف بأخلاقه العالية، وتضحيته في نصرة قضيته (قضية المسلمين الأولى: فلسطين)، وهو الذي سجن في مصر أيام عبدالناصر لمدة سبع سنوات عجاف، وقد سطّر قلمُهُ روائع مقدسيةً لا أعلم لها نظيراً في الأدب الفلسطيني الحديث، وأحسبه مدرسةً متفرّدةً في أدب القضيةِ، ولك أن تتامّل قوله:

الرياح السوداء تصرخ في الوديان ... فوق الذرى وحول الوكون
والجياع المشرَّدون يلمون عليهم ... لحاف خيشٍ مهينِ
ويغنون للدجى ويمجّون دمَ ... القلب بين حينٍ وحينِ
وأرى في غياهب الدمع مليون ... حبيبٍ على حراب المنونِ
آه يا ليل... أطفأَ اليأسُ ... والظلمُ قناديل حينا الميمُونِ
والأيادي العمياء تحفر في التاريخ ... مأساة جيلنا المسكينِ

- ودرَّس في بلادنا الشيخ عبدالرزاق عفيفي ـ رحمه الله ـ، الذي توفي ولده وزوجه في شهر واحد، وقد تلقى

نبأهما وهو في قاعة الدرس، فلم يترك التعليم وأداء الواجب.

وكان على قلة ذات يده يُسْكِن مجموعة من الطلبة معه في السكن، ليتعلموا لوجه الله دون أن يأخذ منهم مالاً.

- ودرَّس في بلادنا الفقيه الشيخ مصطفى الزرقاء الذي توفيت زوجته (وطفاء) وقد رزقه الله منها بثلاثة أبناء، فطلب منه أهله وأصحابه تعجيل الزواج، لتعينه زوجه على رعاية الأطفال، فجاشت نفسه بأبيات جيادٍ منها:

وقالوا: تزوَّج تسْلُها بعد حقبةٍ وهل شيمةُ الحرِّ السُّلوُّ فأسلوَا
نَعمنا بلُقيا بين روحين أُشربا بحبٍّ، وما منا فؤاد قد ارتوى
أراحت عليَّ العطف واللطف فارتقى نعيم حياتينا لأرفع مستوى
لئن ألجأتني سنَّة الله بعدها لأرفع من بنيان بيتي ما انهوى
فلستُ بآسٍ جرح قلبي من الأسى ولست بناسٍ والذي فلق النوى
مصابُكِ يا وطفاءُ أوهى عزائمي وفتَّ بأعضادي ونَهْنَهَ بالقوى
وصغَّر شأناً للحياة بناظري وحقَّر من معنى النعيم وما حوى
ختمت على قلبي بودِّك والوفا لعهدك يا وطفا وللمرء ما نوى

- ودرَّس في بلادنا الشيخ عبدالرحمٰن حبنكة الميداني ـ رحمه الله ـ، الذي ملأت كتبه الدنيا، وانتشرت في الآفاق، وتنوعت على منهج أصيل دقيق، وهو صاحب الأبيات الروحانية الجميلة:

رضَـيْـتُـك ربـاً فـأذلـلـت قـلـبـاً وروحـاً ولـبّـاً إلـى عـزتـك
وأخضعت نفسي وفكري وحسي ووجهـي ورأسـي إلـى قـدرتـك
وسلمت أمري بجهري وسري وخيـري وشـري إلـى كـلـمـتـك

وكم سيكون من الظلم أن ننسى مئات العلماء والدعاة، وأهل العلم والفكر والتخصص من المصلحين الربانيين الذين ملؤوا بلادنا علماً وصلاحاً!

وكم أحس بالألم والحسرة وأنا أرى شباب بلادنا من الدارسين أو المثقفين لا ينعمون بوجود هؤلاء الأكابر بينهم، ولا يلاقونهم للأخذ من هديهم وسمتهم، فضلاً عن التقرب إلى الله بخدمتهم جزاء صبرهم وتضحيتهم وتعليمهم!

مئات مروا، ومئات سيمضون؛ فيا ترى، مَن المغترب الحقيقي، هم أم نحن؟!

شكراً يا أستاذ نبيل على مقالتك التي هيَّجْتَ فيها مشاعرنا، عن الأستاذ الكبير عصام العطار زوج الشهيدة بنان بنت الشيخ علي الطنطاوي، وهو القائل عنها:

«بنانُ» يا جبهة الإسلام دامـيةً ما زال جرحكِ في قلبي نزيفَ دمِ
«بنانُ» يا صورة الإخلاص رائعةً ويا منالَ الفِدى والنبل والكرمِ
عشنا شريدين عن أهلٍ وعن وطنٍ ملاحماً من صراع النور والقيمِ
الكيد يرصدنا في كل منعطف والموت يرقبنا في كل مقْتَحمِ

عسى الله أن يبدلك خيراً، وأن يعوِّضك أجراً، فقد

ظهرت آثار غربتك، وطال حنينك، وزاد شوقك، ونأت عنك الديار، ولكن (ما باليد حيلة) كما يقال، فعذراً يا أستاذ عصام، فأنت لم تزل صاحب القلب الكبير، أوَلم تعلمنا أغنية الحنين؟!

يا شام يا شام يا أرضَ المحبينا هانَ الوفاءُ وما هان الوفا فينا
نحيا على البعد أشواقاً مؤرقةً لا الوصل يدنو ولا الأيام تُسلينا
يا شام جرحك في قلبي أكابدُه دماً سخياً وآلاماً أفانينا
لا عاش فيكِ قريرَ العينِ طاغيةٌ ولا رأى الأمن يوماً في مغانينا

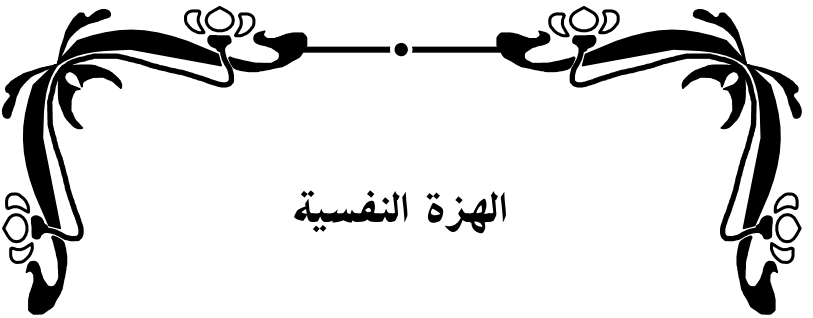

الهزة النفسية

صحّ عندي بعض الوقت لأعيد قراءة السيرة النبوية محبةً واشتياقاً، وتأملاً في دروس وحلقات كنت أود عرضها بطريقة جدية وجذابة في برنامج فضائي، وامتلك عليَّ هذا الأمر كل كياني، وأعددت في رأسي أفكار البرنامج وما يتطلبه من سفر، وتنقل متواصل، خدمة للسيرة ومحبة لصاحبها عليه الصلاة والسلام.

والحقيقة أنه شدَّني منذ أول قراءتي لموضوعات السيرة إلى ما قبل مراحل النهاية قضية عاصفة، ومواقف عنيفة قاسية، تمثلت في الهزَّات النفسية!

لقد وجدت أن النبيّ ﷺ - بأبي هو أمي - تعرَّض لمواقف نفسية شديدة منذ لحظات البعثة الأولى!

فهو يرى سمية وأباها وأمها يقتلون، ويرى خباباً وبلالاً يعذبون، ويسمع أخبار العشرات من أصحابه المقربين المقهورين.

ثم يفقد المأوى الداخلي والخارجي، يفقد خديجة وأبا طالب، وقد فقد والداه من قبل!

ثم يغترب عن وطنه وأهله، ويلاحق في كل مكان يذهب إليه.

إنني وأنا أعيش هذه المواقف أتخيَّل وأستشعر فقدان الحنان والرعاية والتأييد والدعم المادي والمعنوي، أتخيل حجم الآلام والأهوال التي مسته كإنسان من التكذيب ورمي سلا الجزور على ظهره، ووضع الأوساخ عند بيته، وقذفه بالأحجار، والتفل عليه!

إنها مواقف صعبة!

اتهم في عقله وفكره، وأنه ساحر، ومجنون، وتتلى عليه أساطير الأولين!

واتهم في جسده الطاهر، وأنه الأبتر، ومرُّوا على زوجه فاتهموها بالفاحشة!

ومن قبل ومن بعد ساوموه على ترك دينه وصحبه، والمكوث عند الأحجار علَّها تعافيه مما هو فيه!

ولم يكفُّوا لحظة عن التخطيط المتواصل على المستوى الداخلي والخارجي في الحروب، واستعداء القبائل، وإرباك الجيش!

ومع كل صور التحديات والإيذاء والضغط وممارسة العنف، واختلاق الإشاعات والتحريضات، اتفقوا على أن محمداً هو (الصادق الأمين)!!

ووصف الصادق هو أكبر محفِّز للإنسان من الإغواء والإغراء.

إنه (الصادق) مع نفسه ومجتمعه ودينه وربه قبل كل شيء، و(الأمين) و(النزيه) في مواقفه، والأمين في تبليغ الرسالة بكل ما يستطيع، وكل ذلك كان سبباً جوهرياً في مواصلة المسير، وتحمل المشاق.

إن الهزَّات النفسية من التكذيب والاتهام والتشويه وفبركة الإشاعات لا تستقر في نفس المؤمن، طالما أنه الصادق!

وإن الهزَّات النفسية من تأويل الأحداث، والتربص في المواقف، واستجلاب أساليب المكر والخداع للنيل من نزاهته ومصداقيته، لا تدوم ولا تلبث طالما أنه الأمين.

ومع كل هذه الهزَّات النفسية المتواصلة لم يختفِ النبيّ ﷺ لحظة، ولم يمتنع عن المضي في الطريق، ولم يَهب سوء ظن الناس به أبداً!

وتمضي السنون العجاف لتعقبها سنوات البشريات، ويعفو النبيّ ﷺ عمّن ظلمه، ويقرب مَن جفاه وهجره،

ليثبت بقوله ويبرهن بفعله أنه مهما عدى الزمان، وطغى اللئام، وأسرف المتربصون، أنّ الصادق الأمين لا يتغير، وأنَّ ما جرى ما كان إلاَّ سحابة ثم انقشعت، ورياح عاتية مرَّت بسلام!

فطوبى للصادقين الأمناء، الذين كال لهم الناس حجراً، فناولوهم تمراً!

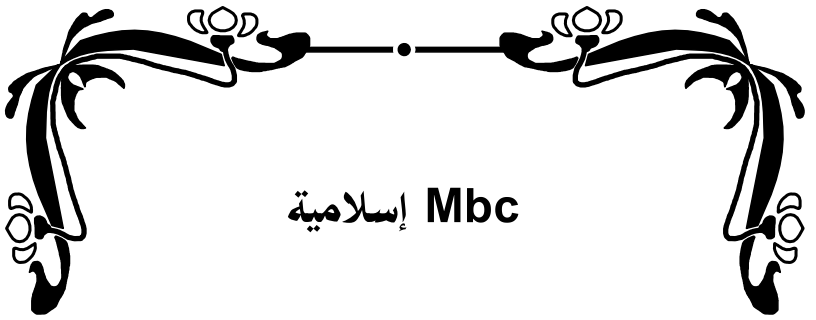

Mbc إسلامية

الذين يتحدثون عن أهمية وجود قنوات إسلامية ناجحة ومتقنة كثير، والذين يتمنون وجود قنوات إسلامية فيها دراما عالية، وأفلام راقية أكثر.

والذين يحلمون بوجود قنوات إسلامية متخصصة في الأطفال والفن والمرأة والشباب والدين في غاية الإبداع والتأثير فأكثر الجميع.

أمَّا الذين يوزعون الأدوار فيقولون: نريد فيلماً مثل: (عمارة يعقوبيان) ومسلسلاً مثل: (باب الحارة)، ومسابقات مثل: (مَن سيربح المليون)، ومهرجانات مثل: (ألبوم) ولكنها هادفة. أو نريد مجموعة تذهب إلى فلان وفلان وتعرض عليهم أوراق فيها طلب تمويل رقم واحد و(جنبه) ثمانية أصفار، فهؤلاء لا حصر لهم!!

وإذا كان هؤلاء يتحدثون بحب وبراءة أو لربما بساطة؛ فإنا نسألهم بنفس هذه النوايا البريئة!:

ألا يعلم هؤلاء أن ما تجمعه القنوات الفضائية الإسلامية مجتمعة في سنة لا تساوي سهرات ليالي (مزايين الإبل)؟!

ولو أن هذه (المزايين) استمرت أسبوعاً لسادت ربما ما هو قادم من قنوات هادفة!

ألا يعلم هؤلاء أن ميزانية كل القنوات الفضائية الإسلامية في السنة مجتمعة لا تساوي ربع ما تحصده قناة «mbc» في شهر؟!

إنَّ الأحلام لا حدود لها، وأصحاب الألسنة لا رقيب عليهم، وحتى يكون هؤلاء عمليين، فعليهم عندما يقوموا من نومهم أو قبل أن تقوم قيامتهم ويملك أحدهم ميزانية إعلانات شهر واحد (١٠٠) مليون، كما في محطة «mbc» لعام ٢٠٠٦م وفق الدراسة التي أعدها مركز الدراسات العربية، فحينها يحلو لهم أن ينشؤوا قناة «mbc» إسلامية!!

نعم، نحن لا نريد أعمالاً فوضوية، وبرامج تعود بالأثر السلبي لا الإيجابي، لكن من المهم أن نفهم أوضاع العمل الإعلامي الهادف، فالأمر ليس بالهين، والموجود فيه خير، وفيه نقص كبير كذلك، وقد تكون من أكبر مشاكله سوء الإدارة والتخطيط، ولكن لا بد أن نؤمن أن من أكبر عقبات نجاحه وتمويله أنه يمنع فكرة هادفة مثل: «شخبط شخابيط»!!

الحاكمية
بين الإسلاميين والديمقراطيين

يبدو أننا بحاجة إلى تأصيل دور الأخلاق في تصحيح السلوك الإنساني؛ لأن الكم الهائل من أصول الأخلاق لم يمرَّر في عقول المسلمين، ولم يترجم بالشكل الصحيح!

إنَّ نظرةً واحدةً في واقعنا اليوم؛ تكشف لنا أنَّ كثيراً من المُسَلَّمَات لا تتجاوزُ حيّز (النظرية) ولا تتعدّى نطاق (القناعات العقلية)، دون أن يكون لها ترجمةٌ عملية في الميدان.

فالواقع يثبت أن اضطراباً وشكاً وخوفاً يساور المجموعات العاملة في الحقل الإسلامي عند تبنيها لأي مشروع عملاق، وذلك خوفاً من تكرار الكوارث التي تقذفها أرحام المعاناة بشكل تلقائي، فتحدُث هزة نفسية أو إصابة بأنفلونزا الإحباط!

فبعض حالات الفساد التي طالت الكثير من مؤسسات

العمل الإسلامي على عدة مستويات، والتهلهل الفكري في المشاركة الشعبية، والتقهقر في مسايرة الخطاب العصري، كل ذلك أدى إلى الإحجام، والثورة على منهج المتنبي في أخذ الدنيا غلاباً!

ومن حالات التوتر التي تتشعب في أروقة نخب الإسلاميين: التترس بالحاكمية السلطوية في مشاريع العمل الإسلامي.

والتي تعني: بقاء الأصلح والأنفع والأدرى بالأحوال والمرضي عنه. وهذه الاختيارات يقرّها ويؤدلجها ويقومها الفريق المسيطر على الحاكمية الإسلامية!

فأنت ترى أنّ انتقال كرسي القيادة في أي مشروع إسلامي كبير لا يكاد يكونُ سلساً إلاَّ إذا كانت المشاريع روتينية.

أما لو كانت المشاريع تعني منصباً مرموقاً، وعلاقة بالجهات المسؤولة، واستفادة من المتاحات المالية، وتعييناً للكوادر المعينة، والأصوات المشجعة، فهذا الانتقال دونه الهوائل؛ لأن هذا الانتقال يعني فقدان الذات باختصار!

وهنا فقط يفتضح العمل المتعلق بالأفراد الذين ينافحون عن مناصبهم باسم الدين، ويقومون للأسف بتأويل الحوارات، وتسييس المواقف، وفتْحِ الملفات، ولو لم يبق

على مدة بقائهم في كراسيهم إلاَّ ساعة، طالما بإمكانهم أن يمدّوا الساعة إلى يوم، واليوم إلى أسبوع، والأسبوع إلى شهر، وإلاَّ لاختلقت الأوهام والأكاذيب تحت غطاء العمل في سبيل الله!

وللأسف؛ فإن عدداً من التجارب الكبرى في المشاريع الإسلامية العملاقة ـ إن كان يمكن أن توصف بذلك ـ ما زالت تعاني من الحاكمية الأخلاقية الذاتية.

ويمكننا أن نجيب على سؤال بسيط قد يطرحه مثقفو العمل الإسلامي: ما الرابط بين الإسلاميين والديمقراطيين؟ والجواب المنطقي الواقعي: (الحاكمية)!!

الشافعي على CNN!

يحلو لسائقي التاكسي أن يصحبوا السيَّاح إلى أهم الأماكن الأثرية والتراثية ذات الأبعاد المختلفة، والتي لا يخلو بعضها من طرفة.

ابتداءً بآثار البطولة والفتوحات الشهيرة وما تبقى منها من سيوف وملاعق وأقمشة وتكايا، مروراً بمتاحف المخترعات القديمة والأحجار الفرعونية، إلى حيث الصور المزيفة المطرَّزة بالأشكال والألوان، وانتهاءً بمقابر الصالحين التي تتعدد أماكنها كقبر السيدة (زينب) في دمشق والقاهرة!!

وتحولت كثير من هذه الزيارات إلى طقوس وأعراف تبتزُّ أموال السائحين، وترهقهم عقلياً، وتُسطِّحهم فكرياً، وتُمتعهم نفسياً!

وخَلَت كثير من هذه الأماكن من خطاب الإنسان، وتبصيره وتنويره، وجعلته يقف عند الأشكال دون التفكّر ولو للحظات في الغايات التي يعبِّر عنها علماؤنا «بالمقاصد».

إن تلك المتاحف كانت تمثل نموذجاً لحياة أمم خلت بكل ما فيها من روائع أو فجائع، لكنها اليوم تخاطب المال والترف والصور الفوتوغرافية الأنيقة!

نعم، غابت لغة المقاصد التي تبني الإنسان، وتحفِّزه للتأمل والادّكار، وعزلته بالتالي عن العيش في منظومة الأمة، التي هو عضو من أعضائها يحس بمرضها أو عافيتها.

لقد هيجتني هذه الخواطر وأنا أنظر من شرفتي في ليلة شاتية متأملاً نهر النيل، من الدور الخامس والعشرين!

وأرغمني الفكر الذي أحمله على عرض تاريخ أمتنا ـ عفا الله عنها ـ.

كُنَّا في مصر أيام (عمرو بن العاص) نتشبَّع بالعافية، حيث الأمانة والعدل والعلم والاستقامة.

وإلى مصر مرة أخرى في عهد (الشافعي) حيث الاجتهاد والتجديد والمساواة والتعايش.

ثم إلى عصر (البنا ورشيد رضا) حيث الانفتاح في الدعوة، والمقاومة بعد الرقدة، والوحدة بعد الفرقة.

ولعمرو الله، إنَّ كل مرحلة تعتبر مدرسةً في التصور الشرعي والفكري والاجتماعي والسياسي.

إنَّ فكرة الإصلاح اليوم ليست مظاهرات ولا بيانات،

إنما هي المدارسة والمراجعة لأفكار الإصلاح في تاريخ الأمة قديمها وحديثها.

يجب أن يُستغل وقت الاجتماعات وانقداح الأفكار في بناء مشاريع الإصلاح التي لا تتوقف بتوقف المنادين للإصلاح!

إنَّ فكرةً كفكرةِ الشافعي في القديم والجديد لا تقف عند مجرد التجديد للتراث الفقهي فحسب؛ لأن فكرة الإصلاح ليست بمعزل عن اجتهاد العلماء، ورؤية الخبراء، وعقلية الحكماء، ومنهجية الدعاة، ومال الكبراء، ووقفة الوجهاء.

إنَّ شباب الأمة اليوم بأمسِّ الحاجة إلى التطوير الفكري والبناء المنهجي والتدريب العملي على متطلبات الزمان. فلن يصلح حال الأمة إلاَّ بصلاح شبابها، والذي يشمل: (صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه... والشارع أراد صلاح أحوال الناس وشؤونهم في الحياة الاجتماعية، فإن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾، أنبأنا أن الفساد المحذَّر منه هنالك هو إفساد موجودات هذا العالم). [الطاهر بن عاشور].

لقد كانوا قديماً يطلقون الألقاب على المجتهدين

المتأثرين بغيرهم، كابن أبي زيد القيرواني الذي لقب بـ«مالك الصغير».

فيا ترى، هل يتربى أبناء الأمة في أسفارهم وزياراتهم على التأمل والتدبر والعلم والعمل، لعله أن يبرز لنا (شافعيٌّ صغيرٌ) يكونُ متينَ العلمِ، حادّ البصيرةِ، نافذ الرأي، وربما... متقناً للغة الإنجليزية لأن CNN حتماً ستطارده!!

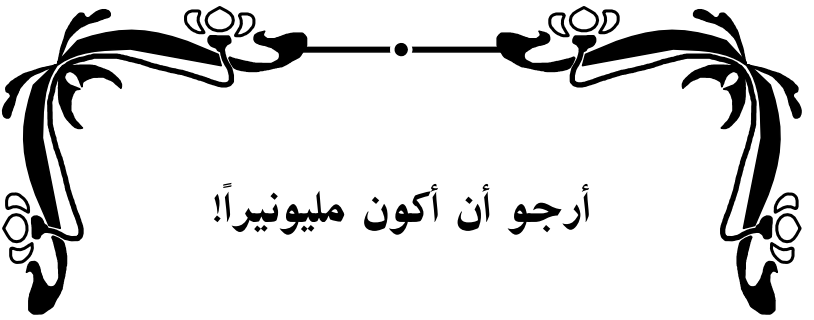

أرجو أن أكون مليونيراً!

أعجبني المفكر الكبير الدكتور علي الوردي في كتابه المتميز: «خوارق اللاشعور»، الذي قضى فيه عشر سنوات عن سر النجاح، والذي لخص فيه تجربته الطويلة في عالم الحياة!

وخلص د.الوردي إلى أن النجاح ليس من الضروري أن يرتبط بالتخطيط والإعداد الطويل، فهناك خيط رفيع لا يعرفه إلاَّ مَن خبر الحياة، يتلخص في إهداء السبيل من قبل رب العالمين.

وكان هناك في الحقيقة سؤال يتردد في ذهني: هل يمكن أن أكون مليونيراً؟!

أو بمعنى آخر: هل يمكن أن أكسب أجر الملايين من الناس؟!!

وجال خاطري في قرون سبقت، كما طاف خاطري في مشاريع لحقت من هذا القرن، وانبثقت من هذه الجولة هذه المضامين:

أولاً: لا يمكن لأي عملية تربوية ومدنية ناجحة أن تستمر أو تنجح أصلاً من غير عمل جماعي منظم وواضح ومدروس. فأي منشأة أو هيئة أو وزارة لا تعمل وفق هذا النظام فهي في واد والعمل المليوني النافع في وادٍ آخر.

ثانياً: كل عمليات التأثير الواسعة كانت تتكئ على قاعدة جماهيرية كبيرة، وهذه القاعدة تختلف أدوارها الحيوية طبقاً للعملية التربوية المنشودة.

ثالثاً: قوة الشعور بالفكرة أو المشروع، مع العمق في تفهم المسؤولية وتحملها، إضافة إلى المبادرة والإخلاص، عوامل داخلية تعمل عمل نقطة الضوء المركزة التي قد تفجّر الزجاج، أو نقطة الضوء العاكسة التي تمتد إلى زوايا عدة!

رابعاً: في استقراءٍ للنموذج النبوي في العهد الأول؛ نلحظ بكل جلاء القدرة النبوية الفائقة لتوظيف الطاقات بشكل كبير وفعَّال. وكتب السيرة ملأى بالشواهد.

وفي استقراء مقابل لمؤسسات دعوية ومدنية واسعة كالجماعة الإسلامية في باكستان، وحزب الرفاة وحزب التنمية والعدالة في تركيا، نلحظ الدور الكبير والمؤسساتي والعميق الذي قامت به هذه الأحزاب المدنية. وكنموذج تفصيلي واحد لما مضى، نجد أن حزب الرفاة في عهد نجم المسلمين العملاق نجم الدين أربكان استطاع ومَن معه إنشاء (١١٠٠)

شركة تجارية، و(٥١) محطة تلفزيونية، و(٣١) محطة إذاعية، ومئات المدارس والجمعيات والمجلات والدوريات!

وهذا التكثيف المتعدد، المبني على منهج متبلور، نجد أثره الهائل في النقلة الإسلامية لا في تركيا وحدها بل حتى في تغيير نظم قوى العالم!

(والدعوة المليونية) ليست فكرة ناعمة، أو صياغة في ورقة أصيلة! بل هي واقع عملي يقوده عمالقة التفكير والعمل، ويساند نموه رجال ونساء يحملون الهم على نفس الخط، وبنفس القوة.

وبلغة العصر يمكن أن تكون (دعوتنا مليونية)، عبر وسائل الإعلام، والمشاريع التطوعية العالمية، والمراكز والمنتجات الدولية. وتبقى الأفكار الدعوية المنسجمة مع هذه الخطوط للتذكير والنفع العام.

إنني مؤمن تمام الإيمان أن هناك أفكاراً مباشرة يقودها عمالقة مثل: الشيخ الشعراوي، الذي قدِّر عدد مشاهدي برنامجه التلفزيوني على قناة مصر لوحدها بعد صلاة الجمعة بعشرين مليون مشاهد، كما نقل ذلك بعض الخبراء الغربيين! وكان أحد أسباب حالات الوعي واليقظة في تلك المرحلة.

ومثله د.عبدالرحمٰن السميط الذي أسلم على يديه، وبقية معاونيه أكثر من (٥,٠٠٠,٠٠٠) إنسان. إضافة إلى بناء

مئات المساجد والمعاهد والمستشفيات والإذاعات وآلاف الحلقات القرآنية! وهذا الدور الهائل كان كمقاومة حقيقة أمام الطوفان النصراني في أفريقيا!

إنها لغات مباشرة، ونماذج واضحة.

وفي المقابل سنجد نموذج (أربكان) بآليات سياسية مدنية مختلفة، غيَّرت الدولة العلمانية لتفهم الفكر الإسلامي، وصارت ورقة صعبة أمام النمرود الأوروبي!

إنني أتفهم تماماً أن كل إنسان ميسر لما خلق الله له، لكنني متفهم تماماً كذلك أن من هذا التيسير أن نكون دعاة ملايين لا أفراد، ومَن بنى غرفة أدخل فيها شخصاً، ومَن بنى فكرة أدخل فيها الملايين، وإن كان الكل ميسر لما خلق الله له!

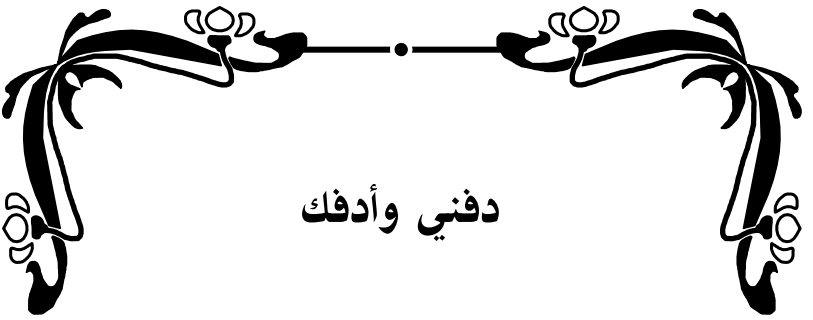

دفني وأدفك

الدين والحياة وجهان لعملة واحدة!

فالدين الحق هو الذي يُطبَّق في واقع الحياة، ومخرجات الحياة الطيبة هو نتاج المجتمع المتدين، والآخرة لن يكون معبرها إلاَّ الحياة!

وإذا لم تكن الحياة بهذه الصورة؛ فهي سراب يحسبه الظمآن ماء.

كثير من الناس يريد أن يسير في غير الطريق الذي يوجب التبعات، ويضاعف المسؤوليات، ويُطالب بالالتزامات.

والذين تتحرك في نفوسهم الآمال والتطلعات كثيرون، ولكنهم يتناقصون واحداً بعد الآخر، كلما تقدمت بهم الطريق وازدادت التحديات، وكثرت المتاعب.

فهم يُريدون أن يأخذوا من غير أن يُعطوا، وأن يُوهبوا من غير أن يُقدِّموا، وأن يسبقوا من غير أن يبادروا!

بل قد يرتقي هذا المفهوم البائس إلى حس (الإسلاميين)!

إن نصّاً شريفاً يمكن أن يوضح المعادلة. يقول الرسول ﷺ: «**أتدرون ما حق الله على العبيد وحق العبيد على الله؟**»، قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**حق الله على العبيد: أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العبيد على الله إن هم أطاعوه: أن يدخلهم الجنة**».

إن وصف كلمة: (الحق) تشعر بالالتزام بالواجب، وأدائه بكل اهتمام واستشعار للمسؤولية، لأن هناك مقابلاً لأداء ذلك الواجب والاهتمام به. وإذا كان هذا في حق الله ـ جلَّ جلاله ـ فكيف بعباده من البشر؟

إننا بحاجة ماسَّة لفتح أبواب الخير لبعضنا البعض، واستثمار خبراتنا لتطوير أعمالنا الهادفة.

لا بد من صيغ التعاون والانفتاح على بعضنا، وكل صاحب خبرة ومشورة سينال ضعفي ما أعطى لغيره حينما يحتاج لمثلها. ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾.

أيّاً كانت صيغ التعاون قانونية (كالمشاركة، المبادلة، التدريب، التوجيه، . . .).

أو شعبية (دفني وأدفك).

فالمهم هو المبدأ، الذي يعتمد على الصدق والإخلاص والرغبة في الإصلاح والتنويع في العطاء.

وسيكون من المهم التأكيد على فن التعاون؛ من مراعاة الأولويات، واحترام الأعمال، وعدم استغلال فرص التعاون للنيل من أحد، أو التشهير به، أو الحل مكانه!

وأعتقد أن حالنا اليوم أشبه ما يكون بزورق مليء بالأحمال، قد عصفت به الأمواج من كل مكان، فما كان من سبيل لتقوية العزائم، وشحذ النفوس، وضبط القواعد، إلاَّ بتجاهل الأسماء والألقاب والتوجه نحو الخبرات وأرباب الدعوات حتى يخرجوا من هذا المأزق.

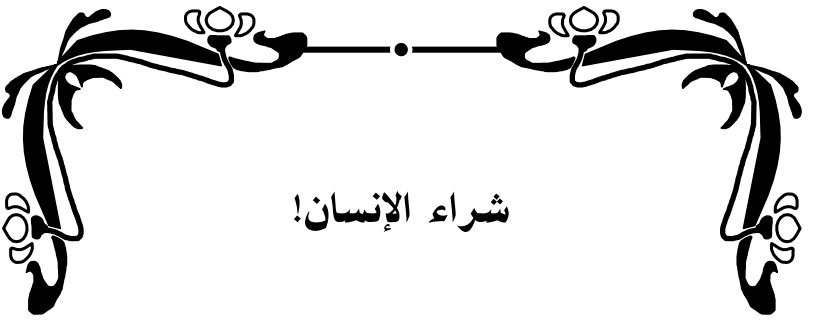

شراء الإنسان!

تتجدَّد في نفسي الآلام، وتتعالى الآهات، وأنا أشاهد صور الامتهان للإنسان في كل مكان.

الإنسان الذي كرَّمه الله، وشرَّفه بكل صور التشريفِ، بدءاً من حريةِ اختيار المعتقد، وانتهاءً بالوقوف له عند موته، ولو كان يهودياً!

الإنسان الذي سميت سورة في القرآن باسمه، سورةٌ قَرَّرت اختياره: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾، وكرَّمته وأوصت به على حساب النفس ولو كان كافراً: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾!

إنه الإنسان الذي زين له (حب) الشهوات، وليس مجرد الشهوات ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾.

الإنسان المعزز المكرَّم بحكم آدميته: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾.

ومع تكريم المولى الإنسان... امتُهن الإنسان بغير إرادته، وامتَهنَ نفسه بإرادته!

امتُهن الإنسان... يوم صار كالسلعة يحمل (جوازاً) لا يستطيع بسببه أن يقول رأيه الصريح، ولا أن يُبدي حقه المشروع، حتى لا يُسحب (جواز سفره) فلا يَدري عن أهله، ولا يَرعى مصلحته!

امتهن الإنسان يوم صار لا يتحرك إلاَّ بإقامة مؤقتة، ولا ينتقل ولا يسعى في الأرض إلاَّ في حدود ضيقة، وليس باختياره، إنما باختيار مَن رضي بكفالته، ولو كان هذا الإنسان من أرقى الناس علماً ومكانةً وخُلقاً ونفعاً للعباد والبلاد!

وامتُهن الإنسان... لما صار سلعة رياضية، يشتريه نادٍ بأغلى الأثمان، فإذا وجد النادي فريقاً آخر دفع له ثمناً أغلى باعه له، ليتحول هذا الإنسان إلى سلعة، تتجمد عاطفته، وتختزل أخلاقياته في المادة فحسب.

وامتُهن الإنسان... يوم صار عاملاً في بلاد المسلمين من أول الصباح إلى المساء، خادماً لمؤسساتهم ساهراً على أعمالهم، أميناً على أموالهم وممتلكاتهم، لا يُستغنى عنه لأمانته وهمته وتنوع خدماته! ومع ذلك لا يحقُّ له أن يأتي بزوجته وأولاده يشاطرونه همومه، ويبادلونه أفراحه، ويشاركونه معيشته!

آه وآه... ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾!

ثم: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾...

يجوع الناس، ويموتون قهراً على سرقة أموالهم في أسواق الأسهم المشرعة، ويتذوقون الأسى والويل في مناطق شتى (كدارفور، وفلسطين...). ويتنوع الحصار ويمتد، ويبقى الإنسان يُطارد اللاعبين بالملايين ليستهويهم فيشاركوا لأشهر في ناديه، ثم لا يبالي مات الناس أو قتلوا!!!

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾...

يوم ترك الناس في جدران المادة، لأنهم أبدوا رأيهم الحر، وطالبوا بحقوقهم المشروعة، فلعنهم الناس، وجلدوا ظهورهم، وفجروا بإنسانيتهم!

وقتل الإنسان ألف مرة ما أكفره!

يوم امتطى ثياب المشيخة فوعظ المظلومين المقهورين الباكين المغيَّبين بالصبر، وتلقِّي اللكمات تحت شرف الشريعة، وغطاء الشريعة، «**ولو جلد ظهرك**»!!

ولكنَّ هذا الإنسان سيكون له العزاء مهما كان ومهما صار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾، و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

ولن يطيب عيش الحياة، وتصلح العمارة في الأرض، ويتم التعايش الإنساني الذي أراده المولى جلَّ جلاله، إلاَّ إذا خوطب الإنسان وروعيت فطرته وحرمته ومكانته، وحينها سيكون الإنسان محور الصلاح والنماء والبناء والمواطنة الصالحة، وإلا فسيتحول إلى سلعة تتغير وتتزيَّف حسب قدرة الإنسان على مكره ودهائه!

أين الفقهاء في صناعة المصطلحات؟

أدى الفقهاء دوراً بارزاً في كتابة المصطلحات العلمية، وتفننوا وتوسعوا في تعريفاتها ودلالاتها وتحرزاتها...

ومع توسُّع عالم الطباعة تبنَّت جهات عدة المشروعات العلمية الكبرى في رسم خطط موضوعية على نهج مبسط ومركز، يعتمد على الكلمات والمصطلحات. وكل هذه الجهود مشكورة ومأجور أصحابها.

لكن أوَلم يلتفت هؤلاء الأجلاء إلى أن صناعة المصطلحات اليوم باتت تعمل بفاعلية أكثر بأيدي علماء الإعلام؟!

إن الإعلام اليوم بآلياته المتطورة، وبوسائل عرضه المختلفة يغيّر كثيراً من المفاهيم، ويتلاعب باحتراف بالألفاظ والمصطلحات.

فالمذموم في كل القنوات العربية ما يسمى بـ (العري)،

أي: التبذل الكامل، أو اللقاء الحميمي الخالص بين الزوجين، وما سواه يعتبر (فناً) سواء في لقاء حواري، أو برنامج جماهيري، أو حفل مسرحي، أو أخبار فنية، أو دعاية إعلامية، أو تغطية حديثة، أو أفلام كلاسيكية، حتى تحولت القنوات إلى كباريهات على الهواء!

و(الإرهاب) مصطلح يفوِّض لكل معادي للفكر الإسلامي، فضلاً عن الجهاد، كل وسائل الحرب والمقاومة والتفتيش والمصادرة.

و(الرواية) و(الأدب الحديث) مصطلحات يديرها مَن يحمل ألواناً من أفكار مظلمة، ينسج من خلالها كل حثالات الفكر والأدب والجنس.

و(التشدد) مصطلح لكل رأي لا يقول بما لا يؤمن به الآخرون من الأقوال المنفتحة، والآراء المتساهلة أو المتسامحة!

إن تحرزات جملة من أهل العلم والفضل لما يحدث في الساحة من تطور وتغير هائل، أدَّى بهم إلى تأصيل تنظيري، غير مشبع ولا مرضي ولا واقعي!

فـ (الأدب الإسلامي) و(الفن الإسلامي) و(الاقتصاد الإسلامي) أعمدة حيوية في الحياة.

ونجاح أهل العلم في بلورة (الاقتصاد الإسلامي)

لممارسات عملية في الميدان ذا أثر بالغ، كان جدواه عملياً ولو كان المتعاملون من عامة الناس عن دلالاته وتعريفاته لغافلون!

بينما (الأدب الإسلامي) بشكل أكبر و(الفن الإسلامي) بشكل أقل؛ ظل حائراً في الأوساط لأنه لم يترجم عملياً في أوساط الناس.

أنا أقبل (الأدب والفن الإسلامي) بهذا المصطلح وأعتبره صحيحاً لأنه يعبّر بكل جدية ووعي عن أمرين مهمين:

أولهما: أن الإسلام يحبذ الأدب والفن.

ثانيهما: أن الأدب والفن ساحتهما مفتوحة في أي لون من ألوان الحياة؛ بشرط أن لا يتعارض صراحة مع قيم الإسلام.

ولذا؛ فإن ثمة فرقاً في نظري بين (الفن الديني) و(الفن الإسلامي).

فالفن الديني: ما يميل إلى اللون العبادي أو الروحاني، وفن الغزل والتصابي بالتالي ليس دينياً، إنما هو في مجال الوجدانيات. والإسلام لا يمنعه إلاَّ إذا اختلت مضامينه وغايته.

ولكن هذه المصطلحات: (الفن الإسلامي، الأدب الإسلامي)، لا تعني عزلة الفن والأدب عن الحياة، وليس شرطاً التمسك بمسمياتها، طالما شقَّت طريقها.

والحاجة اليوم باتت ملحَّة للانتقال صوب غايات هذا الأدب والفن المطلوب، والخروج من دائرة المصطلحات إلى دائرة الواقع، لأنه حينها سيكون الدور العقلي هو الصانع للمصطلح والمروج له كذلك.

فثقافة النشيد الهادف، وغناء الأفراح الملتزم شاع بشكل كبير نتيجة لوعي أرباب هذه الصنعة بدورهم وإبداعهم في عملهم ـ في الأعم الغالب ـ، وكذلك الحال في (الغناء الملتزم) في عالم الفيديو كليبات، التي لفتت أنظار رؤساء الحكومات الغارقين بما هم فيه فضلاً عن غيرهم!

أما الفتنة الأعظم فهي الإعلام، بكل جيوشه وآلياته. إن على جميع العقلاء والعلماء والمفكرين المهتمين بمشروع نهضة الأمة، أن يلتفتوا إلى الإعلام بشكل واعٍ مدروس.

وكلمة، ربما تكون قاسية لنا جميعاً: إننا نزحف في طريق وعر تركناه بإرادتنا، وأهملناه بأموالنا!

لا بد أن تكون النظرة الاستراتيجية الحيوية الدعوية ذات وعي كامل لحجم المتغيرات، وأن تهب فكرها للدراسة

تحت المشرحة، ليعود بتضخم حيوي لا معرفي، يتلخص ربما في مشروعين أساسيين:

١ ـ إعداد رموز علمية عملية جادة واعية.

٢ ـ الإنفاق بسخاء على صناعة إعلام هادف وإعلاميين مهرة.

نعم، قد يتطلب الأمر وقتاً كبيراً، ولكن ألسنا نسمع ونقرأ أن لدى الدعوة الإسلامية خططاً استراتيجية، يقرّها علماء ودعاة وخبراء، فماذا ننتظر؟!

أيها الأقوياء...
قليل من الملح

تبيّنُ لنا المعلوماتُ الطبية أن أظافر الإنسان تحتوي على خلايا ميتة، ولذلك لا يشعر الإنسانُ عند تقليمها بأيِّ ألم. إلاَّ أن هذه الأظافر ـ مع ذلك ـ تنمو بضعة مليمترات في الشهر، وربما يكون نموها في الصيف أكثر من نموها في الشتاء. وإذا لم تقلَّم الأظافر أو تصبغ ببعض الألوان، أو تنظف ببعض المستحدثات فحدِّث عما سيكون بها إن طالت ولا حرج!

إن البعض يظن أن كل البشر خلايا ميتة كالأظافر، وينسى أنَّه حتى الأظافر وإن كانت خلاياها العلوية ميتة، إلاَّ أن أعماقها متصلة بأعصاب الجلد التي لو قلعت لأورثت من الألم ما يجعلُ الحليم حيران، والنائم يقظان، والمستور عريانَ!

وهؤلاء البعض الذين يفكرون بهذه الطريقة بدون حرج

هم الساسة الأقوياء، الذين يملكون اتخاذ القرارات الخطيرة، والمناورات والسياسات الصعبة!

والقائد والحاكم الذي يعطِّل صلاحياته وقدراته يفقد نكهته!

إن مصائب كبيرة وخطيرة تمر بالأمة وهي بحاجة إلى مواقف جادة، أو مناورات حقيقية تسهم في تحريك المياه الراكدة!

إن دور البهارات في الطعام أحياناً هو الدور الرئيسي، فلربما لم يستطع المرء أن يستسيغ أي لقمة من دونها.

والمأمول من الحكام وأقوياء السلطة أن يؤدوا دورهم الفعال المباشر وغير المباشر في لملمة شعثنا، وتضميد جراحنا، ومواساة المكلومين منا.

المأمول (قليل من الملح) ليكون للغليان المستمر في الأمة أثره في أن يكون هناك شيءٌ يمكن أن يقبل ويتذوق؛ لأن الواقع يقول: إنّ مواقف كثير من الأقوياء الساسة غير مستساغ، وإن التباكي والتشاكي والتحازن في ظل اقتلاع جذور الكرامة والإنسانية يشعر بالضيق، ويحرك الألسنة نحو اللعن المنهي عنه!

ما ضرَّ القوي أن تشاع عنه كلمة، أو تمر أمامه ريشة، أو حتى رصاصة؟ أوَليس القوي هو الذي يُبقي حرية

الإنسان، وسلامة الأوطان، مهما كلفه ذلك من ثمن؟!

ما ضرَّ القوي أن يهز قلمه لينفق مالاً، أو يحرك مشروعاً، أو يبادل أدوار من تحته، لتتحرك الخلايا الساكنة في الضمير الحي؟

إن منطق القوة الغربي: منطق «المصطلحات» الذي يجعل كبسولة الدواء للفقراء في السودان أو العراق مساوياً لكبسولة الرصاصة!

وقد جربت الحكومات وأدركت أن أكبر مشكلة اجتماعيه معاصرة هي: «العطالة»، وهي أم خبائث العصر! ولو أنهم أعانوا هؤلاء العاطلين ببضعة دولارات قبل أن يحدثوا الكوارث، لما كانوا بحاجة إلى أن ينفقوا الملايين عليهم وعلى تعليمهم وتوجيههم داخل السجون!

ألا يعتبرون إذن، ويدركون خطورة (عطالة) العقلاء والمنافحين عن حياض الأوطان قبل أن تخرب الطبخة ويحترق الطعام، فلا هم أكلوا! ولا تركوا غيرهم يأكل!!

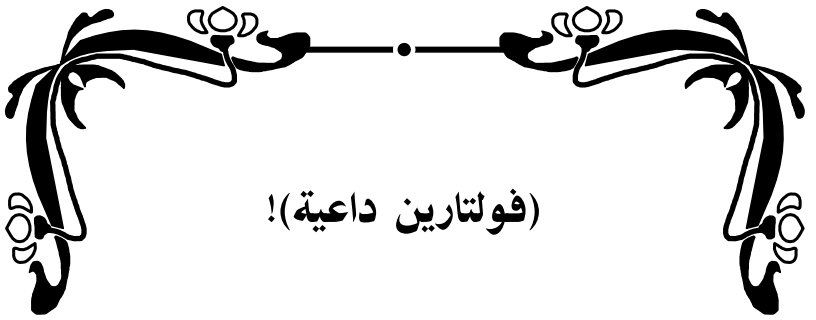

(فولتارين داعية)!

يعتبر دواء (الفولتارين) أحد المسكنات المهمة التي تعيد التوازن للإنسان، نتيجة إصابة الجسم بخلل في وظائف الأعضاء، وما ينتج عنها من عدم الحيوية والأداء الفعّال.

وأعتقد أن هذا المسكّن ينبغي أن يُعاد تصنيعه لإعطائه كجرعات لمجموعة من الشباب المتحمسين والدعاة العجلين.

إنه في مقابل أزمة الفتور والنقد عند بعض الدعاة الذين يكتفون بالتنظير على حساب التفعيل، فإنه في المقابل توجه مجموعة أخرى مصابة بداء العجلة، وتقديم الطبخة قبل نضجها.

ومن علامات هؤلاء:

١ ـ رفع قيمة عطاءاتهم فوق الواقع:

ومن ذلك استخدام صيغة (أفعل التفضيل) في مجالات عملهم: (أفضل مجلة، أفضل موقع، أول مشروع، أكثر

متابعة، أشهر برنامج...)، وللأسف تسللت هذه الفكرة لدى جملة من المتدينين، حتى حسبوا أن هذه الصيغ ستحول بين القارئ والمشاهد والمتابع وبين معرفة الحقيقة، والانحياز نحو ما يرضي!

٢ ـ عدم إعطاء الوقت الكافي للتقييم:

فبعض المتحمسين يريدون أن يبدأوا بموقع إلكتروني، أو برنامج تلفزيوني، أو مشروع تطوعي، معتمدين على بعض تجاربهم السابقة في الميدان والتي تختلف عن محيط النزول للناس، والتحكيم مقارنة بمن سبقهم في تجارب تختلف في محيط الإعلام المعاصر!

ولذا؛ فإنهم يظنون أن نزولهم الإعلامي لا يحتاج إلاَّ بوصف برنامجهم بأمتع الأوصاف، مع بعض الطموح في التجديد والإبداع.

إن نَفَس الكثيرين من الشباب اليوم نَفَس متعجِّل، لم يُصبغ أصحابه بالدربة والتجربة الكافية.

إن بعض الشباب قد رأوا موقعاً إلكترونياً، أو مجلة متفننة، أو برنامجاً مبدعاً، أو شخصية مؤثرة ظهروا أو ظهرت فجأة وبسرعة فائقة!

ونسي هؤلاء أو لم يرجعوا للوراء ليدركوا أن تلك

الضربات الناجحة كانت قبلها سنوات طويلة لم تنل تلك الشهرة، ولم يطرق بابها التوفيق الرباني!

إن من أكبر المخاطر المحدقة بإبداعات ونجاحات شبابنا التسرع غير المدروس، والعمل غير المتقن، في مقابل الإحباط غير المقبول.

٣ ـ تسريع دوائر النفوذ:

ففي ظل تسارع رفع أسهم أشخاص معينين، خاصة مع موجة الإعلانات والفضائيات وشبكة المعلومات، وما يمكن أن يُستفاد منه في إنشاء العلاقات وتمرير المشاريع وتحقيق الذات، أخذ جملة من الشباب المتحمِّس يشعر بانتعاشة غير مسبوقة، تجعلهم يحلمون في كل يوم بقرب الفرج، وتحقق الصدارة من غير عمل مدروس، أو تقييم منهجي، أو معايير محددة.

وبالتالي فمهما حاول هؤلاء كثرة الإطناب في أعمالهم، أو إيجاد فريق إعلامي لنشر أفكارهم، فإن النجاح الذي لم يستشعروه ويتلذذوا به، لن يتلذذ به الناس أصلاً!

٤ ـ الأرقام الوهمية:

وسيكون من عجائب تفكيرنا المعاصر: الادعاء بتحقق أرقام وهمية في المتابعة والمشاهدة بعيداً عن معايير الأرقام

المنطقية، أو الهروب لبضعة رسائل لا تشكل ١٪ في مقابل ٩٩٪ من ميدان التنافس الحقيقي!

وما لم نداوِ الجراح، ونسكِّن الآلام، ونُعطي أنفسنا وشبابنا فرصة ووقتاً كافياً للعلاج، فإن مرضاً فتَّاكاً سيسود بينهم من التهارش والتحاسد والإحباط والغيرة، نعوذ بالله من ذلك!

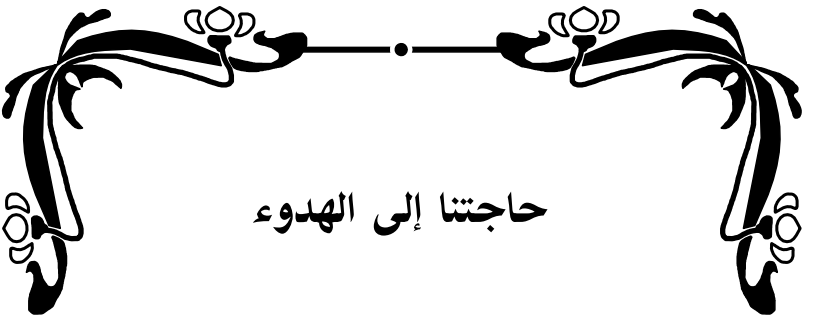

حاجتنا إلى الهدوء

إذا كانت هناك موازين للأجسام؛ كالفيتامينات في الطعام، والرياضة للعضلات. وإذا كانت هناك موازين للقلوب؛ كالتقوى، وأداء الفرائض، والحذر من الحسد، فإن هناك موازين للعقول، وأهمها: (الهدوء)!

والمتأمل في أسباب اختلال موازين الأجسام والقلوب يجد أن من أهمها: الخلل في ميزان (الهدوء).

فعدم الهدوء في أكل الطعام، وعدم الاكتراث لنوعية طبخه، ترهق البدن، وتتعب الأمعاء، وتعرض الإنسان للمخاطر والأمراض الفتاكة.

وعدم الهدوء في الوضوء وأداء الصلاة، يجعل الصلاة لا تنهي صاحبها عن فعل الفحشاء والمنكر! وعدم الهدوء في التصرفات، يؤدي إلى التخلخل والتفكك والتشتت.

وعدم الهدوء في الحوارات، يعقّد المشكلات، ويزرع العداوات.

و(الهدوء) ليست كالدواء لا يؤخذ إلاَّ عند الحاجة إليه، بل هو كجهاز المناعة لا بد منه لمنع المشكلات أو تخفيفها.

ويمكنني القول: إن (الهدوء) مطلب شرعي وشعبي!

فهو مطلب للفقهاء في استنباط الأحكام، وللقضاة في فصل النزاعات، وللأزواج في حل المشكلات، وللشباب في تجاوز العقبات، وللشركات في تقويم المشروعات، وللساسة في امتصاص الأزمات، وللإنسان للبقاء في الحياة!

إنَّ واحدة من أكبر مشكلات التأزم الحضاري في الأمة: (غياب الهدوء). فكم جرَّت النظرات العاجلة، والمناهج القاصرة من كوارث!

وكم أفضتِ العجلةُ في الحكم على الأحاديث النبوية إلى نشوءِ قوالب فكرية، وفتاوى شرعية من المحيط إلى الخليج ترتبت عليها خصومات ونزاعات، وتقليب للأولويات، وتفريق للجماعات، وإزاحة للمسلَّمات، وتجاهل للمشتبهات.

وكم أدَّت الخطوات العاجلة غير المحسوبة، والنظرات الأحادية غير المدروسة، إلى ورطات وتراجعات إيمانية وفكرية ودعوية وسياسية.

وفن (الهدوء) في الحقيقة مدرسة!

يتعلم منها المرء: الإنصات، والتأني، والتحري، وسعة الأفق، وراحة البال، وسلامة الموقف، ودقة التشخيص، ووضوح الرؤية، وصحة البدن، وتلألؤ الوجه، وصدق الاختيار، وسكينة الروح، وحسن المقصد، وعفة اللسان، وأمارات الكلام، وكسب الحقيقة، وحصاد الإيمان.

و(الهدوء) انفعال داخلي، وليس كما يظنه البعض عجزاً وخوفاً!

وفي «الأدب المفرد» للبخاري: (إنما العلم بالتعلّم، وإنما الحلم بالتحلّم).

وهو (هدوء) حاضر، لا تهرب معه، أو تباطؤ، أو خوف، أو قلق.

وأنا شخصياً أمتنُّ لكل مَن أكتسب منه هذه المهارة الفائقة التي عادت عليّ بمكاسب كبيرة، ونظرات استراتيجية غالية. وضريبتها أنها تتطلب مقداراً من (الهدوء) لكسب هذا (الهدوء)!

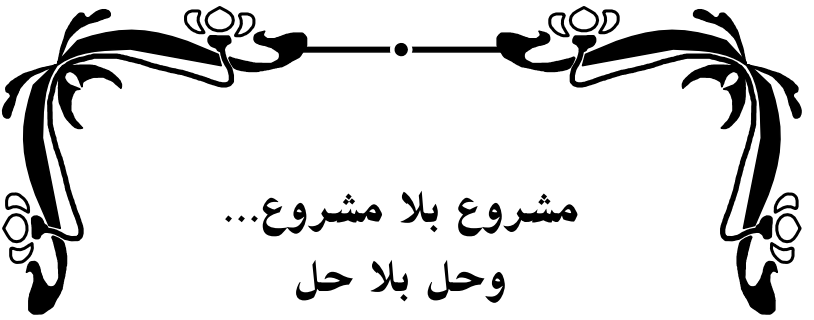

مشروع بلا مشروع...
وحل بلا حل

كان لي صديق حبيب أعدّه أستاذاً فذاً، وقائداً ميدانياً محنكاً، وربانياً من الطراز الأول!

وشاءت حكمة الله أن يغترب هذا الصديق، للحصول على الدرجة الأكاديمية ومن ثمَّ عاد هذا الصديق بما حصل عليه من الشهادة، وبما معه من رؤى وأفكار!

وأخذنا بعد عدِّة جلسات نتحاور في بعض الأطروحات التي استقاها وتأملها في بلاد الغربة، والتي لا يخلو بعضها من عميق فائدة.

إلاَّ أن صاحبي صارت أغلب أطروحاته غير قابلة للتطبيق، مع منافحته الشديدة لها، ورغبته في إعادة النظر فيها. ومع استمرار المناقشة لاحظت ثلاثة أمور:

١ ـ خروجُ صاحبي عن منهجية الإقناع.

٢ ـ استعلاء قيمة الرأي الذي يتبناه إلى حدِّ القطع بصوابِهِ،

وإخراجه من دائرةِ كونه مجرد رأي قابل للخطأ والصواب.

٣ ـ الاستقلالية والانعزالية، التي تؤدي إلى ترك العمل الدعوي، والاكتفاء بالنقد والتقويم.

وهذه الحادثة تتشكل اليوم في كثير من شرائح العمل الدعوي، وعبر مؤسساته المختلفة.

إن نفراً من هؤلاء تحولوا إلى مجرد منظِّرين، وناقدين، وأحاديين في الوقت نفسه. كما أن نفسياتهم صارت غير قابلة للعمل الدعوي عبر مؤسساته المتنوعة لكونها غير مجدية ولا متطورة ـ في وجهة نظرهم ـ!

وكل الذي يملكونه هو أن يحلُّوا المؤسسة الدعوية التي يشاركون فيها، أو يتهربوا من المسؤولية، ويقدموا مشروع النصيحة على طبق من ورق، أو مدونة شعرية رثائية في جلد أصيل!

لم يكن من منهج السيرة النبوية أبداً أن يتخطى العاملون للإسلام بيئتهم ومجتمعهم، وينفردوا بالتنظير عازفين عن المشاركة من الداخل.

لم يكن رواحل الأمة ورواد التاريخ يجلسون في بيوتهم، ويقرؤون التاريخ من خلال روايات الأخبار وقصاصات الأوراق.

لقد تقرَّحت لدى هذه الطائفة الأفئدة، فصارت همومهم مملوءة بالهم ومشحونة بالنقد، ولا سبيل لها للعمل الميداني، فضلاً عن صبرها على مجاذبةِ الناسِ وعيشِ همومهم وقضاياهم.

وإن لاحظوا المساءلة من الناس قالوا: إننا ندين لله بتصحيح المسار من خلال المشاهدة من الخارج، وإبداء النصح!!

وهكذا يتحول هؤلاء إلى مجرد ريشة، تطير مبتعدةً يوماً بعد يوم، فتصف واقع الدعوة في صورة سريالية لا تفهم منها شيئاً، كما أنهم قد (يتعصفرون) ـ كالعصفور ـ فيصفون بريشتهم الألوان الزاهية، والمناظر العبقة، فتتلون أفكارهم، بين مدح وذم، وهدوء وانفعال!

ولقد أثبت واقع التاريخ أن الإصلاح لا يكون إلاَّ من الداخل، وأن الناقد الخارجيّ مهما كان خبيراً بصيراً فلن يكون أبصر بالإنسانِ من نفسه، ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤﴾.

وسيكون من نافلة القول أن أقول: إن صاحبي الناقد، صار مشغولاً بأمور الدنيا، فلم يعد له مشروع دعوي يشارك فيه، وأنَّ حل مؤسسته الدعوية لم يكن هو الحل!!

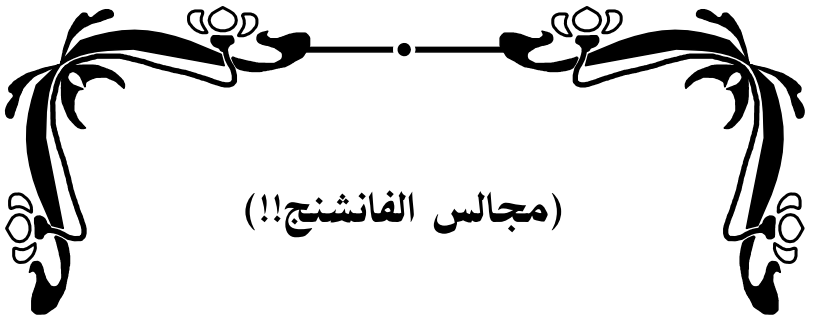

(مجالس الفانشنج!!)

حضرت مجلساً لمناقشة بعض الأعمال الخيرية، وكيفيةِ تطويرها، وبينما نحن في مداولة بعض الأفكار إذا بمسؤول المجلس ـ وهو أحد الدعاة الفضلاء ـ يدوي بقوله: إننا في الحقيقة بحاجة إلى (الفانشنج)!

واستمر الحديث فترة ثم رجع فقال: ألا ترون أن (الفانشنج) مهمة؟!

ومضى الحديث هنيهة فتوقف فجأة، وحاول أن يشرح لنا ما يريدُ قوله، فقال: (الفانشنج) يعني: آ، آ، آ، آ، ما أعرف إيش أعبِّر عنها؟!

فتبرع أحد الحاضرين وقال: الآليات!!

كم أُصاب بالدوار، وأنا أتألم على حال بعض الدعاة الذين لم يستطيعوا أن يعبروا عما في نفوسهم باللغة العربية، بل يقفون لفترات من الوقت علَّهم أن يجدوا مَن يترجم لهم تلك الكلمات، وما هم بحاجة لهذا الصنيع لأنهم في بلد عربي مسلم، لا في بلد أوروبي ولا مُستعمر!!

ولربما تعذَّر بعضهم بأن هذا نوع من التحضّر، أو الانتقاء الرائع للجمل الإدارية الرنَّانة، وغفلوا عن كونِ هذا المسلك يشين هويتهم، ويقلل الغيرة على دينهم!

ورحم الله ابن تيمية عندما قال: «إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، وإنَّ فهم الكتاب والسنَّة فرض، ولا يفهمُ إلاَّ باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلاَّ به فهو واجب»، [اقتضاء الصراط المستقيم، (٢٠٧)].

ولا يمكن للأعجمي أن يفهم مدلولات القرآن والسنَّة مهما كان، ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وكم سيكون مؤسفاً جداً، أن يقع التنكُّرُ بمتحدثي اللغة العربية والمنافحين عنها باعتدال من قوم يُفترض أن يدركوا قيمة اللغة العربية في دينهم، ﴿كِتَـٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَـٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ٣].

إن «اللغة عنوان سيادة الأمة، وهي وعاء علوم الدين، تعلمها وإتقانها من الديانة. ولغة الأمة ميزان دقيق في حفظ الهوية». [د.صالح بن حميد، خطبة الحرم المكي: اللغة عنوان سيادة الأمة، في ١٤٢٢/٤/٢٢هـ].

ومن مقومات الحضارة الإسلامية ومعالم وحدتها الحفاظ على اللغة العربية.

فإنه «ما ذلَّت لغةُ شعبٍ إلاَّ ذلَّ»، ولذا «كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين؛ فلن يتحوَّل الشعب أول ما يتحول إلاَّ من لغته؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده؛ فليس كاللغة نَسَبٌ للعاطفة والفكر، حتى إن أبناءَ الأبِ الواحدِ لو اختلفت ألسنتهم؛ فنشأ منهم ناشئ على لغة، ونشأ الثاني على أخرى، والثالث على لغةٍ ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء!». [الرافعي، وحي القلم، (٣/٣٣)].

إنَّ من أهم ما يجب أن يتربى عليه المؤمنون بعامة والدعاة بخاصة أن اللغة العربية ـ فوق كونها معلماً من معالم الحضارة ـ هي معلمٌ من معالم بناء الذات، ومعقل من معاقل القوة في الأمة.

فاللغة: «مصدر عظيم من مصادر القوة، وإذا أضاعت أمةٌ لسانها أضاعت تأريخها وحضارتها، كما تُضيِّع حاضرها ومستقبلها.

اللغة: من أهم ملامح الشخصية الإنسانية، إن لم تكن أهمها.

اللغة: هي التي تربط المرء بأهله وأمته ودينه وثقافته، فهي التاريخ والجغرافيا.

اللغة: مظهر من مظاهر قوة الابتكار في الأمة، فإذا ضعفت قوة الابتكار توقفت اللغة، وإذا توقفت الأمة تقهقرت، وإذا تقهقرت الأمة فذلكم هو الموت والاضمحلال والانكسار. إنَّ شواهد التاريخ قديمها وحديثها تظهر بجلاء أنه لم تتقدم دولة ولم تُشدْ حضارة، ما لم تكن العلوم والتعليم بلغة الأمة نفسها لا بلغةِ أممٍ أجنبيةٍ عنها.

وفي شواهد التاريخ بيان لما استطاعت أن تقدمه لغة القرآن في تحقيق متطلبات المجتمع التاريخية، عبر الأحقاب المختلفة في كل المستويات، الدينية والعلمية، والاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والعسكرية، في عصر النبوة، ثم الخلافة الراشدة، ثم في حُكم بني أمية، وما رافق ذلك من تعلم الدواوين ونظم الإدارة للمجتمعات المختلفة، والأقاليم، والجيوش، والحياة العامة.

كما استجابت اللغة لحاجات الحضارة أيام بني العباس وما واكبها من حركة الترجمة، بل هي لا غيرها كانت لغة العلم والبحث العلمي، في الطب، والعلوم، والرياضيات، والفلك، والهندسة، وغيرها.

الدولة الإسلامية على مرِّ عصورها لم تأخذ من الأمم في احتكاكها معها، إلاَّ بمقدار الحاجة الماسة للتعبير عن بعض المعاني التي لم تكن موجودةً في لغتها.

ولم تفتنهم لغات هذه الأمم رغم حضارتها العريقة كفارس والروم». [ابن حميد، خطبة اللغة].

إنني بهذه النقولات أحاولُ تجديد الحب والتقدير للغتنا الأصيلة، التي كان لها الأثر الأكبر في حفظ الذوق والهوية والقيم والحضارة.

وما تخلخلت هذه المفاهيم، ولا ذابت تلكم الصور واندثرت في حياة المسلمين، إلاَّ في فترات ضعف الأمة التي بلغت أوج انكسار لغتها إبان التجربة الكمالية في تركيا.

ولا بد من إحياء تكامل فهم اللغة مع الفنون المختلفة المنضبطة: (كالموشحات، والأناشيد، وخطوط رسم الحرف العربي)، التي تمثِّل ألواناً في روائع حضارتنا. [انظر: د.عماد الدين خليل، مدخل إلى الحضارة الإسلامية، (٢٢٠)].

وإذا لم يتنبه الدعاة لهذا، فسيفسح المجال وجوباً لإمرار خطط المستعمرين، الذين لم ينفكوا عن عقد المؤتمرات لاستكشاف السبل إلى محو اللغة في كل أرض دنّسوها بأقدامهم؛ كما حصل في مؤتمرات باريس، والمؤتمرات المتتالية التي عقدتها هيئة «اليونسكو» المسيطر عليها غربياً!

والتي كان من مواضيع مؤتمراتها: «شؤون التعليم

الثانوي في مصر»، تحت إشراف الجامعة الأمريكية في بيروت! وموضوع: «اللغة العربية على مائدة البحث!».

وما نتج عن هذه المؤتمرات من مقالات عدة كمقال: «مشكلة الخط العربي» في مجلة الأزهر، عدد جمادى الأولى، لعام ١٣٨٠هـ، وعشرات غيره والله المستعان! [انظر: محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها. ود.محمد سعيد البوطي، تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث، (٩١)].

وإنني أناشد المهتمين بالإنشاد والفن الإسلامي أن يحرصوا على لغتهم العربية، (لأنها لغة القرآن، ولغة الناطقين بالعربية، وهي الأكثر انتشاراً وتأثيراً. أنا أقول بصراحة: إنّ اللهجات المحلية تبقى محلية، مهما حاول البعض أن ينفخ فيها. ليس من اليسير على الشامي أن يفهم لهجة المغربي أو اليمني، والعكس صحيح. لكن الجميع يفهمون الفصحى، لا سيما ونحن اليوم أمام نهضة تعليمية شاملة، وقد أصبح الطلاب يقرؤون الأدب الجاهلي في الصف الأول الثانوي.

وأما النص المكتوب للنشيد فهو ما يحتاجه المنشدون، الذين يبحثون عن الكلمات هنا وهناك، في بطون الكتب وصفحات المجلات والجرائد وعند بعض الأحباب والأصحاب، ذلك أن نص النشيد له صفات خاصة، منها السهولة بجانب العمق، والموسيقى، والبحور القصيرة، أو

المجزوءة، وتنوع القوافي، ومعالجة الفكرة في عدد محدد من الأبيات، ومنها أن تقول ما ينبغي أن يقال. فالشاعر قد يكتب نصاً وهو في حالة ضعف أو انكسار. وهذه النصوص لا تصلح للنشيد.

النشيد يجب أن يفتح أبواب الأمل، حتى من قلب المآسي. النشيد يجب أن يحمل البشريات الجميلة، ويروح عن النفس ما تعانيه من هموم وأشجان). [سليم عبدالقادر، مؤتمر رابطة الفن الإسلامي العالمية الثاني، المنعقد بمدينة جدة في ١٤٢٧/١/٨هـ].

وكم أحلم أن تعود الأيام الخوالي، تلك الأيام الجميلة الرائعة، التي يحبب فيها الغيورون إخوانهم بأسلوبهم الشيِّق عبر مجالس التفسير التي تبث لطائف القرآن وتربطه بمقاصده، ومجالس الأدب والشعر الأصيل والفن الراقي، وأن يُعاد نشر بعض مقالات الرسالة، وكبار النقاد والأدباء والشعراء، ولتكن تلك اللقاءات إما في بيوت الدعاة، أو في ملتقيات المجالس المفتوحة؛ بدءاً بالصالونات الثقافية العامة أو الخاصة، وانتهاءً بمقاهي (الكافيه)!

ولا ريب أنّه يلزمُ المهتمين بالأدب من الدعاة أن يجدِّدوا المسيرة الدعوية بإحياء الأدب في فقه الدعوة: «نثراً وشعراً بمختلف بحوره في أجمل صورة وفي شتى مقاصده،

بحيثُ تصدح النوادي والبيوت بجماله وفنونه، وتشدو طيور الخمائل من جديد على أزهارها المونقة في رياضه المورقة بأنغامه ولحونه». [د.عبدالله بن بيه، فتاوى فكرية، (١٠٤)].

وإذا لم يَسْعَ الدعاة إلى إحياء هذا اللون، فلنترك الآلاف من مجالس (الفانشنج) تُحيا، ولندع في هذا المجلس ملحناً يترنم بأبيات شاعر النيل وهو يشكو عقوق أبناء اللغة، الذين أساؤوا وقصّروا، فيقول على «لسان العربية»:

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حَصَاتي ونَاديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
رَموني بعقم في الشباب وليتني عَقُمتُ فلمْ أجزع لقول عداتي
وَلَدْتُّ، ولمًا لم أجد لعرائسي رجالاً وأكْفاءً وأدتُّ بناتي

وتشتكي العربية مما تعانيه من مؤامرات أجنبية تُدبَّر ضدها، ومن فسادٍ ولحنٍ يُشاع في الصحف والجرائد:

أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ينادي بوأدي في ربيع حياتي
أرى كلَّ يوم بالجرائد مَزلقاً من القبر يُدنيني بغير أناة

وتقوم اللغة العربية بدفاع قويٍّ عن نفسها، وتُبطل الاتهامات التي وجهت إليها من الجاهلين أو المتعصِّبين أو الحاقدين الذين يرمونها بالقصور والعجز عن احتواء مصطلحات العلوم ومسمَّيات آلات الحضارة المعاصرة ومستجدّات الفكر الإنساني وملاحقة الركب:

وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً وما ضِقت عن آي به وعظاتِ

فكيفَ أضيقُ اليومَ عن وصف آلةٍ وتنسيق أسماءٍ لمخترعاتِ
أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

ثم توجّه اللغة العربية لوماً شديدَ اللهجة إلى رجال الصحافة والكتّاب، الذين يستخدمون لغة مطعمةً بكلمات عامية متلبِّسة برطانةٍ أعجمية، فلنستمع إلى صرخة العربية في وجوه هؤلاء:

أيهجرني قومي عفا الله عنهمُ إلى لغةٍ لم تتصل برواةِ
سرتْ لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعابُ الأفاعي في مسيل فراتِ
فجاءت كثوبٍ ضمَّ سبعين رقعة مشكَّلة الألوان مختلفاتِ

وفي خِتام القصيدة تثور ثائرة اللغة إلى أقصى حدّ، وتقول كلمتها الحاسمة الفاصلة الأخيرة:

إلى معشر الكتّاب والجمعُ حافلٌ بسطتُ رجائي بعد بسط شكاتي
فإما حياة تبعثُ الميت في البلى وتنبت في تلك الرموس رفاتي
وإما ممات لا قيامةَ بعده ممات لَعَمْري لم يُقَسْ بمماتي

إن من لوازم المهتمين بثقافة جيل الدعاة الثقافة الشرعية التركيزَ على تعليم اللغة، عبر الدورات التعليمية، التي يلتزم بها الدعاة، صيانةً لهم من الانفتاح غير المنضبط والمبني غالباً على تجاهل النصوص الشرعية وعدم فهمها!

ومع الفرق الهائل بين جيل اليوم والجيل السابق في

فهم اللغة، إلاَّ أنه سيكون من المناسب عرض هذا الحوار الممتع الذي يقرِّب الصورة، ويلقي الضوء على ضرورة معرفة العربية والبراعة فيها لكل مَن يتصدّى للفقه والإفتاء والمناقشة الفكرية.

من عيوب الدعاة (١)
اصطحاب العتاب

الإنسان بشر قبل وبعد كل شيء.

فالبعض من الدعاة يُطالِب ولا يُحب أن يُطالَبَ، ويُوجب على الناس أشياء كثيرةً وقد لا يُوجب على نفسه أيَّ شيء!

وقد ترى أن بعض الدعاة عرفوا بالنقد الطويل والمرير ربما! وصارت كلماتهم المحفوظة وعباراتهم الدارجة على لسانهم هي كل ما يحملونه من قواميس الدعوة!

فهم يرون الدنيا تتغير، ووسائل الإعلام تتطور، ويتمنون أن يكونوا خطباء المرحلة لينقدوا مشاريع الدعوة التقليدية؛ كالمراكز الصيفية، والحلقات القرآنية، والمشاريع الطلابية، والدورات الشرعية، والمهرجانات الفنية، والأشرطة الصوتية، والخطب الوعظية.

وأزعم أنه لا تكاد تبدأ فكرة أو تنمو غرسة أو تناقش

ورشة، إلاَّ ومصيرها عندهم الفشل والرمي في سلة المحذوفات!

وغالباً ما يكون هؤلاء الناقدون شاغبين على أنفسهم قبل غيرهم، ومحبطين من نتائجهم قبل أن يروا النور عند غيرهم!

هؤلاء الدعاة يريدون أن يزرعوا اليوم ليحصدوا غداً، وأن يحصدوا غداً ليجنوا ثمار بيعهم بعد غدٍ؛ لأن الحصاد لم يتعبوا في زرعه وسقيه وحرثه وجنيه!

هؤلاء يحبون أن يحلموا في ليلهم وقبل نومهم وبعده، كما يحبون أن يحلموا وهم يشاهدون نجاحات غيرهم ليتساءلوا مباشرة دون أن يسألوا أنفسهم ومَن رأوا نجاحه: لماذا لا تقدّمون أيها الدعاة مثل هذه المشاريع الناجحة؟

وإذا لم يستطع هؤلاء أن يوفقوا لمشروع دعوي ناجح، ولم تسعفهم أوقاتهم لبناء عمل دعوي متكامل متطور، أقنعوا أنفسهم بأن قلوبنا معكم، وألسنتنا مع واقع الحال!

وقد عاتب الله تعالى المؤمنين في كتابه على القول بدون عمل، ونهاهم عن ذلك. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقد أجمع العقلاء على أن البناء لا يتم إلاَّ ببذل الجهد وإتقان العمل.

فألمانيا بعد الحرب العالمية، واليابان بعد وابل القنابل النووية، وغيرهما من الدول التي نهضتْ بعد انكسارٍ، كل هذه الدول لم تسترد عافيتها إلاَّ بجهود أبنائها، والمساهمة في النهضة بعرق جبينهم، واستثمار طاقاتهم، وتنمية عقولهم بالمعرفة والخبرة.

وقد سمعت شخصياً في مجالس متعددة أطناناً من النقد لأعمال دعوية مختلفة، وقد أثَّر في النفس بعضها ولم يؤثر فيَّ أكثرها.

إنما الذي أثَّر أضعافاً مضاعفة بل بما لا يُقارن مع النقد اللفظي هو رؤية أعمال الناجحين، وتراكم خبرات العاملين، ووضوح رؤية المخططين، وتحمُّس الجادين، وتلمس ومضات المبدعين.

إنه لا يكفي جمع الأوراق لإنجاز مشروع دعوي يُظنّ نجاحه، كما لا تكفي عاطفة مشبوبة متحرقة على رغبة الإنجاز والإبداع. فنحن في دنيا تنافس، وفي ميدان عمل، وفي ساحة مليئة بالأماني والرغبات، ولن تبرز النجاحات إلاَّ بالإنجازات وكفى!

وأتذكر في مرحلة ما وأنا أنشئ مع بعض المهتمين بالعلم صرحاً علمياً كبيراً، أنني قدمت نماذج شبه متكاملة للمشروع لبعض التجار، وعلى توسُّع علاقاتي ـ بفضل الله ـ

كنت مؤمناً بأن جمع المال لهذا الصرح لن يتأتى إلاَّ بجُهد مني مضاعف وبقية العاملين معي ولو لسنوات طوال حتى يقتنع أصحاب اليسار بذلك. وهذا ما حصل حقاً!

إنني أزعم أننا لو وفَّرنا لدعاتنا وقتاً للتفكير الموضوعي لمشاريع البناء والتطوير الخاصة والعامة، والمحلية والدولية، لعدنا بمدخرات تخدم الدعوة بخيرٍ من إبراء الذمة بحبك النقد!

وتربيةُ الدعاة على طول النقد ضياع للعمر، وهروبٌ من المسؤولية.

إنَّ الإعياء يصيبني عند زيارة بيوت بعض الدعاة، الذين قلَّما أسمع منهم الحماسة والتفاؤل في قضايانا الإسلامية ولو يوم زيارتهم!

إن من العقل والحكمة أن نوفِّر وقت العتاب ولو كان صواباً لتطوير الأعمال الناجحة، وتقويم المشاريع المتميزة، والبرامج المبدعة المبتدئة.

ورحم الله أمير البيان شكيب أرسلان عندما أرسل رسالة عتاب لأخيه وصديق دربه أمير الشعراء أحمد شوقي لطول غيابه عنه، وقد جاء لزيارته في القاهرة، فيا ترى، كيف كان عتابه؟:

أحنُّ إلى شوقي وأهوى لقاءه وأصبو ولكنْ ما إليه وصولُ
ويخبرني قلبي بأنَّ فؤاده كما كان لكنْ يعتريه ذُهولُ
ووالله ما يمَّمتُ مِصَر وفوقها يُدانيهِ عندي صاحبٌ وخَليلُ
فشوقي إلى شوقي بقدر محبتي وعندي حسابٌ للعتاب طويلُ!

فيا أيها الدعاة العاتبون:

أسمعونا كشكيب جميل مشاعركم المتدفقة على أقل تقدير، ثم ليكن بعدها حساب للعتاب طويل!

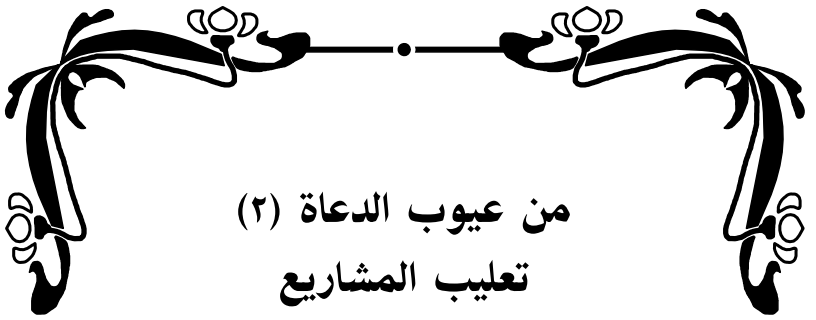

من عيوب الدعاة (٢)
تعليب المشاريع

في اجتماع عام قام أحد الدعاة بالحديث عن ضرورة مواكبة الدعوة لمفاهيم العصر، وأن الانسجام بينهما سيحقق ثمرات عليا للدعوة ورجالاتها.

أعجبتني الكلمات كمضمون عام، ولكني كنت أختلس بعض النظرات لصاحبي ممازحاً إياه عن عدم تطوير منشأته الدعوية على نظام الداعية المتحدث.

وما كنت أظن أن مزحي كان في مكانه، وأنه لولاه لما طاب لي المقام!!

وبعد أن شرح صاحبنا مسألة الرسالة والرؤية والفروق الجوهرية بينهما، واختلاف علماء الإدارة في بعض النقاط، شنَّ حملة على بعض الأعمال الدعوية القائمة بحجة أنه لا توجد رسالة ولا رؤية واضحة لهذه الأعمال. وبعد التفصيل، انتخب إحدى المنشآت الدعوية العاملة المنتجة، ليرسي عليها

قاعدة الرسالة والرؤية وتطبيقاتها ونظمها المتطورة في تصوره، وأخذ الداعية المدرب يسأل، ومدير المنشأة يجيب:

ما هي رسالتكم؟ هل هي مكتوبة؟ ولماذا لم تكتبوها؟ هل كتبتم أعداد المشاركين خلال عشر سنوات؟ هل عرفتم مستوى رضا موظف تخرج من عندكم؟ هل وهل وهل...؟

وبعد أسئلة مقننة نظرية طويلة، وأجوبة عملية حقيقية، انتهينا إلى أهمية كتابة الرسالة والرؤية، وإن كان العمل في هذه المنشأة على أشدّه!

ولما طال الوقت كثيراً في النظريات والتعريفات، وأنه بغيرها سيفشل العمل ويضيع. قلت للداعية المدرب بالعامي: «ترى الشيخ ابن باز وابن عثيمين والألباني والبنا ورجالات الدعوة وأرباب مدارس الإصلاح لم يفشلوا؛ لأنه ما كانت لديهم أوراق مكتوب عليها الرسالة والرؤية بشكل حرفي!

إنني مؤمن بكل ما تقول، ولكن تطبيق ما تقوله يختلف من حال إلى حال، ومن فهم إنسان واعٍ إلى إنسان آخر.

ولا يمكن أن نحكم بالقصور على مشروع دعوي ذي تصورات واضحة؛ لأنه لم يسجل أربع أسطر هنا وسطرين هناك!!

وعلى فكرة ترى حتى مَن آمن بالكتابة النظرية رأيناهم يتولون كبريات المؤسسات والشركات ولم ينجحوا فيها،

فالكلام النظري شيء والواقع شيء آخر، ترى علينا ببناء الداخل قبل الخارج ـ يعني: الداعية أهم شيء ـ».

إنني أحتفي بالدورات الإدارية المهمة التي تطور الدعوة وتقودها للأمام، لا تلك التي توقفها وتجعلها في قفص الاتهام، وتحاكمها على نظم غربية تصد ولا تترك النور يسري بضيائه!

هل المسجد الذي تخرَّج منه رجالات الدعوة البناة الحفظة الرواحل قديماً نجح أصحابُهُ لأنهم كتبوا ورقة ذات سطرين؟

وماذا بشأن مَن كتبوا وما نفذوا؟ هل المشكلة في الورقة أم في صاحب الورقة؟

إنني أعجب من تعليب المشاريع الدعوية واضحة الغاية والهدف، حتى أراد لها البعض أن يخرجها عن طورها.

الدعوة ليست حقل تجارب، ولا منتجات بضائع تخضع لطلب السوق. إنما هي تستفيد من التجارب، وتراعي حال الناس.

ويجب أن لا تكون النظم الإدارية ثوباً ملزماً نُلبسه كل الدعاة في كافة أماكنهم، بل إن المبالغة في النظم الإدارية قد يمحق البركة، ويشغل الداعية بالحصول على شهادة «الآيزو» على الورق، دون أن يكون له في الميدان إنجاز ولا في القلوب محبة، والله المستعان.

إنه لا يقول داعية عاقل: إنّ النظم الإدارية في حياة الداعية وبرنامجه الدعوي هي «ماطور» الكهرباء في البيت الذي به يُسقى الزرع، ويَنتفع به أهل البيت في طعامهم وشرابهم، وبقاء الحياة في دارهم.

إنما يمكن أن نشبه النظم الإدارية بالأجهزة المتطورة التي تساعد على ضخ الماء بواسطةِ «ماطور» الكهرباء، فهي محسناتٌ لأداء «الماطور» وليست «الماطور» نفسه.

فـ«الماطور» هو الداعية، وأجهزة تطوير الضخّ هي النظم الإدارية.

كل الذي أخشاه أن تتحول حياة بعض الدعاة المدربين المنظرين منهم ـ وفقهم الله ـ ونفعنا الله بجهودهم، إلى تلقي علوم نظرية من خلال قراءة الكتب أو حضور الدورات أو مشاهدة الأفلام الوثائقية.

ولكن الميدان لا يثبت فيه إلاَّ المليء. ولا يعني نجاحُ مدربٍ دعويٍّ في مجالٍ نجاحَه في كل ميادين حياته المكتوبة بالحرف!

فكم خذلت النظم الإدارية داعية أُريد له أن يكون نجماً ساطعاً، وكم ارتفعت أسهم دعاة فتح الله لهم أبواب الخلق بلا نظم مخترعة.

وبعد: فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها، ومَن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

فحيَّهلاً بالنّظم في سياقها وحدودها، وطوبى للتربية النبوية وفق السنن الربانية.

وأظن أن هذه المفاهيم لا يعقلها إلاَّ العالمون. اللَّهمَّ اجعلني وإخواني الدعاة منهم.

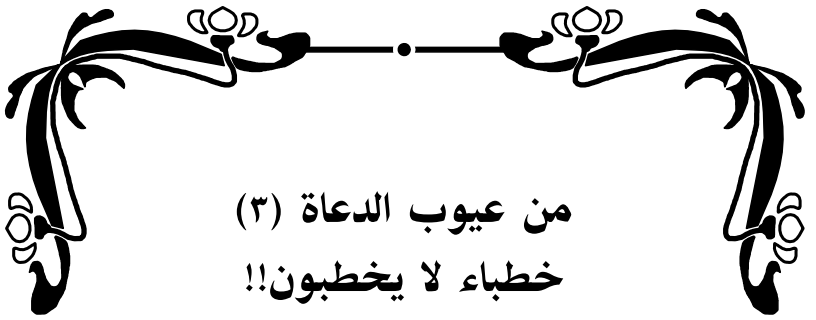

من عيوب الدعاة (٣)
خطباء لا يخطبون!!

يُقال: إنّ أكثر ما يؤثر في تربية الصغار قصص آبائهم وأجدادهم لهم. وهذه القصص لمن يتمنى أن يكون يوماً خطيباً.

وإذا كانت قصص الصغار فيها ما يسر ويضر، ويفرح ويخيف، فقصصنا هذه لا أراها إلاَّ كذلك!

*** القصة الأولى:**

قبل صلاة العيد بساعتين اتصل بي أحد الخطباء يسألني عن موضوع خطبة العيد التي سألقيها! فقلت: تسأل لتتأكد عن جاهزيتي للموضوع أو لتتأكد من تقارب الموضوعين؟ ـ أي: موضوع خطبتي وخطبته ـ؟

فقال: بل لم أحضّر خطبة العيد حتى الآن!

وتساءلت في نفسي: إذا لم يعرف صاحبنا موضوع خطبة العيد الجماهيرية قبل ساعتين، فعن ماذا سيخطب إذاً؟

❊ القصة الثانية:

«طَفَشَ» صاحبنا فترك منبره وهو عازم على العودة إليه، ولكن لا يدري متى العودة! وعند السؤال عن توقعه للفترة التي يمكن أن يعود فيها قال: حسب سؤال الناس عني! فقلت في نفسي: صدق مَن قال: «اللي ما يسأل في الناس، الناس ما يسألوا فيه»!

❊ القصة الثالثة:

أدى واجب أهل العريس في ليلة الجمعة، وأكل المقسوم من الطعام والشراب إلى الواحدة ليلاً. فسألني عند الخروج من قصر الأفراح: هل عندك موضوع لخطبة الغد؟ قلت: للغد؟ قال: نعم. قلت: لم أفكر بعد. قال: لعل الله يفتح عليك. قلت: أحتاج أفكر! قال: الوقت ضيق. قلت: لماذا لم تفكر من قبل؟

قال: الله يعين «زحمة الأوقات». قلت: وأنا الله يعينني الآن على زحمة السيارات!

قال: ما طرى شيء في رأسك؟ قلت: بلى، وطرحت موضوعاً عميقاً ومهماً. قال: الموضوع شيِّق ومعاصر وحديث كثير من الناس، ولكن هل له مراجع؟ قلت: نعم، كذا وكذا... قال: «نبغى موضوع يكفي نحضره بعد الفطور، تراني طوال اليوم ما نمت، والآن سهران، ولا أظن أقوم بكره إلاَّ على الضحى».

*** القصة الرابعة:**

«ما قصَّر موقع المنبر». سمعت هذه العبارة من صاحبي أكثر من مرة. قلت له: ولم؟

قال: ألم تزر الموقع؟ قلت: لم يتيسر لي دخوله، قال: لكنه موقع الفزعات!!

*** القصة الخامسة:**

أكرمني الله بحضور خطبة الجمعة في الحرم المكي الشريف، واستمعت واستمتعت بأداء الشيخ صالح بن حميد وبأسلوبه البديع في اختيار الكلمات، وصدق العبارات ـ ولا نزكيه على الله ـ.

وفي الجمعة التي تليها حضرت عند خطيب صديق، فإذا الخطبة بالحرف وبالنص، إلاَّ أن تراكيب الجمل لم تركب في رأسي للفرق في الأداء بين البائع والمشتري!

فقلت في نفسي: لعل أهل المسجد يحضرون خطبة الجمعة مبكرين جداً، ولذا لم يسمعوا بالخطبة الماضية في الحرم المكي الشريف، خاصة أن هذا الخطيب يصعد المنبر متأخراً.

فتذكرت أن الخطبة في الحرم تعاد في الإذاعة والتلفزيون.

فقلت: يا عمي، التكرار يعلم...!!

وبعد: فأظن أنه من اللياقة أن نجدد في أسلوب النقد والتوجيه دون جرح أي أحد، ودون الدخول في التفصيلات؛ لأن كثرة الكلام ينسي بعضها بعضاً!!

فآمل أن يكتب الله لي الأجر في فتح الشهية لإنشاء منتدى ظريف خفيف ومسلٍّ يحكي قصص الخطباء بعنوان: «منتدى الخطباء الذين لا يخطبون»!!

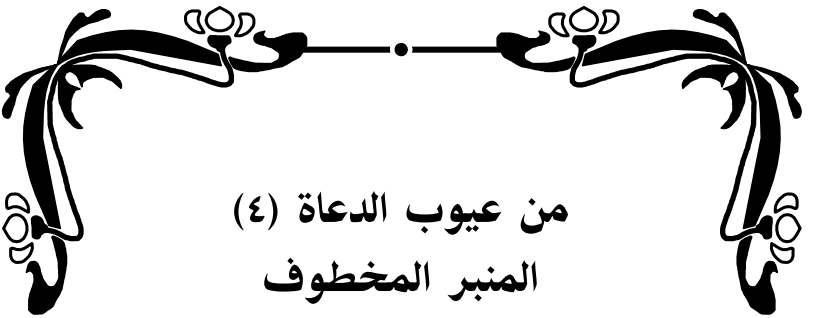

من عيوب الدعاة (٤)
المنبر المخطوف

سمعت عن لجانٍ عدة تتوخى إعداد الخطيب الناجح في حيه ومجتمعه.

وعني شخصياً لم أحظ بالتوفيق للانتفاع بأعمال لجنة واحدة من هذه اللجان المسموع عنها وغير المسموع في فترة عملها.

ويذكرني حال هذه اللجان برؤساء الأقسام الذين يُعيَّنون لحل مشكلة ما، ثم يغادرون مناصبهم، ويأتي آخرون ليحلوا المشكلة نفسها وهكذا!

وبغض النظر عن سبب المشكلة؛ هل هي من الرئيس المُعيَّن، أو من المعيِّن، أو من اللجنة المنتخبة؟ إلاَّ أنني أتساءل: ألا يحس هؤلاء بالكارثة التي تحيط بهم؟

لأنه إذا لم يشعر أحد بخطورة الأمر؛ فماذا تفيد المناصب ومسميات اللجان المواكبة للعصر؟!

إنه ليؤسفني حقاً أن المنبر لم تعد له هيبته السابقة، ولذا لا نرى بوادر حقيقية تبعث الأمل خلال عقود من الزمن سمعنا فيها عن مشاريع تطويرية لإعداد الخطيب في المحافل الخاصة والعامة، ومن خلال المؤسسات الشعبية والحكومية!

نعم، هناك جهود لا بأس بها، ولكنها لا تمثل النموذج الكافي والمطلوب لإعداد خطيب يُرجى أن يكون مهيئاً لعبء رسالة عظيمة لو فقه الناس دورها.

ولخطورة هذا الموضوع أجد نفسي محتاراً من أين أبدأ وإلى أين سأنتهي؟

هل أكتب عن أهم صفات الخطيب؟

أم عن طريقة الخطبة، وأساليب الخطابة الناجحة؟

أم عمّا يتعلق بالخطبة من أحكام فقهية؟

باختصار، هل أعيد المكتوب في عشرات الكتب، وهل هذا الذي ينقصنا؟

هل أدركتم كيف أن الموضوع خطير؟!

إن الحديث عن المنبر المخطوف لا يهمّ الخطيب وحده، بل حتى المستمع لأنه مطالب بالحضور أسبوعياً، والإنصات وجوباً لكلمات رجل المنبر! ومن هنا كان الجميع في خندق واحد.

إنه من خلال التجربة ومعرفة الواقع؛ أزعم أننا بحاجة ماسةٍ لتتبع عدة خطوات للرقي والوصول إلى خطبة مؤثرة وخطيب ناجح بتوفيق الله.

وهذه الخطوات في تقديري هي محور القضايا التي ينبغي الاهتمام بها، والبدء منها، وهي اجتهادات محفوفة بتجربة؛ فإن روعي ما فيها فهو ما أرجو وآمل، وإلاَّ:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ويمكن أن ألخص ما ينبغي مدارسته في إعداد وتكوين الخطيب الناجح في طرح عشرة أسئلة، هي:

١ ـ هل جذبكم الخطيب من أول الخطبة إلى آخرها؟

٢ ـ هل أثار انتباهكم من أول الخطبة بأسلوب مبدع؟

٣ ـ هل سكنتم في أماكنكم حيث لا كلمات أو «قوارع» لفظية خارجة عن اللغة العربية أقضَّت مضاجعكم؟

٤ ـ هل الخطبة غير مكررة؟

٥ ـ هل الخطبة حوت عناصر القوة من التحضير والشواهد وأسلوب الخطاب المناسب؟

٦ ـ هل وقت الخطبة بدايةً ونهايةً مناسب؟

٧ ـ هل روح الخطيب ونبرته مؤثرة، وهل أداؤه مميز؟

٨ ـ هل تنوع الخطيب مشجع على الاستمرار في نفس المسجد؟

٩ ـ هل رص الكلمات واختيار العبارات يجعلكم تدعون للخطيب على حسن اهتمامه وقوة تأثيره؟

١٠ ـ هل أنت في خطبة جمعة روحانية؟

وختاماً: هل تأكدتم أن الأسئلة السابقة يجيب عنها الخطيب والمستمع سواء؛ لأنهم مشتركون رغماً عنهم في المأثم أو المغرم؟!

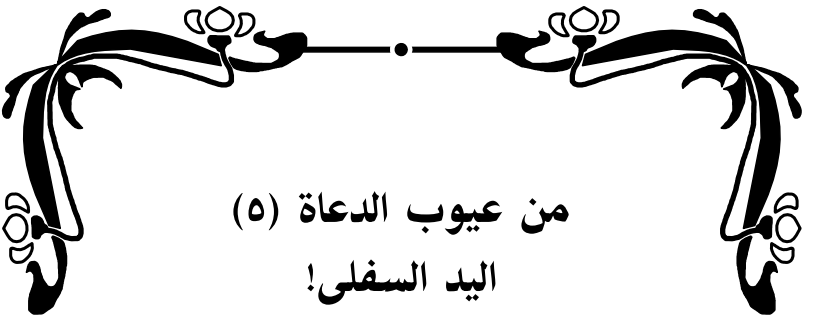

من عيوب الدعاة (٥)
اليد السفلى!

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾.

هذه الآيات من المسلّمات التي يؤمن بها الدعاة. ولكن تطبيق معانيها قد لا يحصل بالشكل الكافي!

وقد كتبت كتاباً مستقلاً أزعم أنه من أهم رسائلي، لأنه ليس نقلاً من الكتب بقدر ما هو حصيلة لتجربة خاصة، وتفحّص لتجارب كثيرة عامة، ولكن حسبي هنا أن أجمع وأضيف ما يتعلق بجانب العيوب التي ينبغي أن تُزال:

١ ـ هناك جملة من الدعاة يتمنون أن يجلسوا في مكاتبهم، ويتحازنوا على أوضاعهم، علّهم أن يجدوا مَن ينفق عليهم من أصحاب اليسار في الدعوة.

وهذه الحال يمكن أن تجدي لآحاد الدعاة المتفرغين

بشكل دائم لخدمة الدعوة والدعاة، أما أن يكون التفرغ للدعوةِ أمراً لازماً لكل داعية دخل حيّز الشهرة أو لم يدخل فهذا هو الدخول في تيه الحياة، وصراع المطالب المعيشية! فليس التفرغ متاحاً لكل أحد، وليست أموال الدعوة كافية لتغطية حاجات العاملين. والتفرغ للدعوة مهمة لا تصلح لكل أحد، ولذا لا أحبذ أن تكونَ قانوناً متعارفاً عليه على هيئة نماذج لتعبئة وظيفة!

إنما هي تنبع من نظرات الدعاة المهرة، وأصحاب اليسار الواعين لتقديم المنفعة والمصلحة، ولمن يكون لتفرغهم الأثر الأكبر في مجرى الدعوة.

وكم للتفرغ الدعوي من مزايا غالية، وأزعم أنه لولاها لما صلحت أمور كثيرة للمسلمين. ولكن مع هذا كله أزعم كذلك أنه لولا عمل العاملين في الميدان العام لما كملت سلسلة العطاء والبناء!

٢ ـ يتقاضى جملة من الدعاة رواتب في مجملها جيدة من وظائفهم الدنيوية، ولكنهم مع هذا يصرفون أكثر من رواتبهم الشهرية في أمور كمالية، أو في السعي لشراء أفضل الأنواع والمستلزمات. ونسي هذا الصنف من الدعاة الحديث الذي يربون عليه تلاميذهم: «**إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، وأخذاً وهات. وكره إليكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

ففي هذا الحديث بيان لحرمة الأخذ والعطاء من غير حاجة. «**وأخذاً وهات**». والمكروه: هو إضاعة المال في توافه الأمور، واللهث وراء آخر الموديلات والتنزيلات التي لا حاجة لها.

وفي الحديث إرشاد للدعاة لحفظ ماء الوجه في طلب المال: «**كثرة السؤال**»، وتنبيه لهم ألاَّ يسرفوا في إنفاق أموالهم وإن كانوا من أصحاب اليسار في كماليات الحياة التي لا تنفعهم في الدنيا ولا الآخرة، ولا تقربهم إلى مولاهم.

فلا يعني وجود المال إضاعته في صوارف الدنيا، وأهل الدعوة بحاجة إلى ربعه أو ثلثه!!

٣ ـ من عيوب تجار الدعاة الحماسة والعاطفة للإنفاق على مشاريع خارج محيطهم، فتجد أنهم يتبنون طالباً أو طالبين لأنهم أبناء كذا وكذا، أو أنهم حصلوا على تزكية من الشيخ فلان أو فلان، وربما يكون المال المدفوع لهم يساوي حجم شراء باصين لخدمة مائة طالب!

فإذا ما جاء الشباب العاملون يجمعون مالاً لشراء سيارة ما نالهم إلاَّ عشر العشر، بينما ذاك الطالب نال الصفقة بجدارة!

وليس العيب في أن يتبنى أصحاب اليسار طلاب الدعوة وناشئتهم الموهوبين والمتميزين، بل هذا واجب يجب

أن يكون مقدراً، إنما العيب أن تفتح أبواب ذات نفع خاص، على حساب أبواب ذات نفع عام.

٤ ـ ومن عيوب تجار الدعوة طلب شروط ومقاييس للإنفاق، لا تحصل عليها لدى أصحاب الشركات والمؤسسات العريقة!

ولا أرضى أن يستلم الدعاة الأموال دائماً بدون أن يسجلوا التقارير المطلوبة والمحددة المعالم. وهذا لصالح الشركة المنفقة ولا شك. ولكن أن يتم التفصيل في كل شيء، وأن يمنع طلاب وأساتذة الدعوة من المال وتقف برامجهم لعدم اكتمال فقرات الملف المالي فهذا خطأ.

فليس كل جيل الدعوة اليوم ذا قدرة تامة على هذا الترتيب المطلوب والوعي الكافي. وحرمانهم من المال حتى يكتبوا كل شيء، سيعود بالخسارة على الدعوة بشكل خطير.

وأرى أن التوازن هو الحل، بحيث يكون المطلوب مقتصراً على فقرات محدودة، مدعومة ببعض الصور.

وحديثي هنا عن الأعمال الدعوية المعروفة، لا تلك المشاريع الكبيرة والتي أرى وجوباً بيان صرف أموالها.

٥ ـ يتحرج بعض الدعاة من استقبال أبناء الدعوة في بيوتهم لقلة ذات اليد، وعدم القدرة على ضيافتهم بالشكل المطلوب. والحق أنهم أرهقوا أنفسهم بالشكليات في المظهر

ووسائل النقل والاتصال، وتغيير القديم بالجديد شهرياً، حتى صعب عليهم الحال. ولربما ضاقت بيوت بعض الدعاة أن تستقبل ضيوفاً ليس في الشهر مرة بل لربما في السنة مرّة.

وغفل هذا الجيل من الدعاة عن أنّ عادات الكرم والجود والضيافة والوفادة هي من أصول شيمهم التي تميزهم كدعاة!

٦ ـ والداعية التاجر، هو داعية قبل أن يكون تاجراً. فأخلاق الداعية هي رصيده القولي والفعلي، لا أخلاق التاجر!

ولن أنسى موقفاً حضرته للداعية التاجر الكبير: أبو بدر عبدالله المطوع ـ رحمه الله ـ وأنا في مكتبه، إذ دخل عليه مدير مكتبه يحمل خطاباً موجهاً لأحد مندوبيه تأخر في جلب المال المطلوب منه، فكان الخطاب المُعد من قبل مدير المكتب شديداً، فقال له المرحوم أبو بدر: (لا، تكلّم معاه بالطيب، وحثّه على الالتزام بالموعد)!

وهذه القصة كافية في فضح أخلاق وسلوكيات وتعاملات وكلمات بعض مَن يخرج عن طوره في العمل التجاري، زاعماً أن سوق المال والتجارة لا بدَّ لها من هذه الأخلاق!

٧ ـ ومن عيوب الدعاة السقوط في دعايات بنوك الربا

المحرمة، والخلاص من هذا المأزق بأخذ أي فتوى أو قول مرجوح، ليسد بهذا المال الربوي سيارته الجديدة، ومسكنه الفاخر، وتكاليف سفره، وتعلمه في الخارج! وصدق بشر الحافي عندما قال: (المال الحلال لا يحتمل السَّرف).

فهانت لدى هؤلاء العزائم، وغفلوا عن الحديث الذي كانوا يعلمونه لتلاميذهم: «**لأن يزني الرجل بأمه أهون عند الله من درهم ربا**».

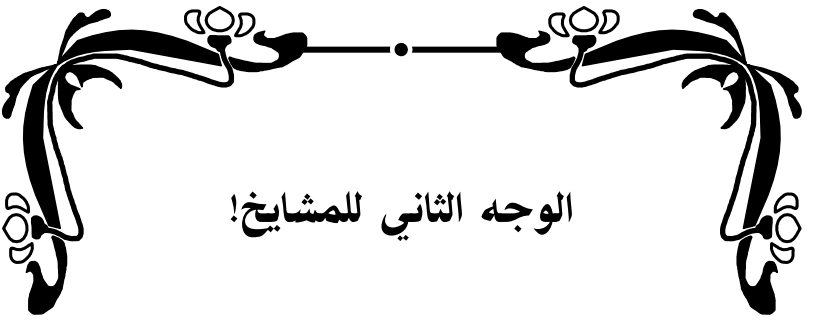

الوجه الثاني للمشايخ!

لماذا البعض منهم حريص على المادة؟

لماذا يطلبون أموالاً على الندوات والمحاضرات وورقات العمل؟

لماذا يشترطون درجة أولى في تنقلاتهم ولو كانت محطات التنقل مكلفة؟

لماذا يلحون في أن يسكنوا في فندق محدد، وأن يكون لهم سائق خاص؟

بل لماذا يتعاملون معنا كأننا خدم أو عبيد إذا تأخر الواحد عنهم دقائق لباب المطار أو باب الفندق؟

ولماذا يتلوَّن وجه أحدهم وتنتفخ أوداجه و(يتخندق) في مكانه، لتمر سهام الطيش وقنابل العنف لمجرد إظهار صورة لوجهه لم تعجبه؟

لماذا كثر السؤال ولماذا كثرت الحيرة ولماذا زاد الضغط؟!!

هكذا يتحدث الكثير في المجالس الخفية وشبة المعلنة عن الوجه الثاني للمشايخ!!

والمتأمل الواعي والمراقب المنصف يلحظ تراكماً لمواقف سيئة من السادة المشايخ عند تعاملهم مع فلكي البلاء: (المال والإعلام)!

فبعض المشايخ عاش مقهوراً مادياً، مهضوماً علمياً، مُرْهقاً اجتماعياً، وبمجرد أن يجد فرصة من وجيه، أو نافذة توسَّع من جهة اشتراط الشروط، وأخرج المدثور، وطلب المطالب، عسى أن يجد (ولو نفسياً) ما كان يحلم ويأمل!

وآخرون من أمثالهم ارتقوا مرتقاً صعباً، وليسوا بأقل وزناً منهم، ولا أدنى حضوراً منهم، فلماذا وهم شيوخ جميعاً لا تمطر السماء عليهم سواسية؟!

وبتحليل نَفْسي، ونَفَسٍ ورع، يدرك المرء أن هؤلاء الأفاضل لهم أعذار في شروطهم المالية المرهقة، وطلباتهم الإعلامية المزعجة!

والحقيقة أن جملة منهم يقولون: نفسي نفسي، ولكن بلغة وفلسفة جديدة.

وإلاَّ كيف يشترط شيخ على مؤسسة دعوية أو إعلامية شروطاً محرجة؟!

وكيف يشترط شيخ على مجموعة محتسبة أو جهة تعاونية شروطاً مجحفة؟!

وكيف يشترط شيخ على منظمة ناشئة أو لأصحاب فكرة صاعدة شروطاً مرهقة؟!

عشرات الذين وجدوا وجهاً مختلفاً لدى بعض المشايخ الفضلاء عند الحديث عن المال والإعلام!

وعشرات الذين وجدوا صوراً لا تسترخي للمال قليلاً، ولا تتفاهم في مشكلة الإعلام ولو قدراً يسيراً!

وعشرات يقولون: إن هؤلاء الفضلاء هم نخبة وفئة وليسوا الكثرة، ولكن أمثالهم من المقتدرين والأكفاء أكثر مرونة وسماحة ورفقاً وتفهماً منهم!

وعشرات يتساءلون: هل يظن هؤلاء السادة الفضلاء من المشايخ الأجلاء أن المؤسسات الدعوية والخيرية والإعلامية فتحت بنوكاً ورصدت عقارات ضخمة لأجلهم؟!

وعشرات آخرين يقولون: هل من منصف واعي وشجاع مَن يكتب عن هذه المواقف التي تسيء لهؤلاء الفضلاء؟ وهل من مقتدر مستوعب مَن يكتب في المقابل عن الاحتساب غير المنطقي، والمطالب غير اللائقة في هذا العصر من المؤسسات والجهات التي تريد من المشايخ أن يعيشوا عالة على الناس تحت بند (الاحتساب)؟!!

عشرات يقولون: أين الخلل؟ وعشرات يقولون: ما الصواب من الخطأ؟ وعشرات يقولون: أصعب الحوار حوار المشايخ في الإعلام والمال.

والجواب الحقيقي فقط عند المشايخ في تعاملهم والتزامهم بعهودهم؛ فهم الذين سيؤكدون أو ينفون الخبر!!

الخطاب الإسلامي
بين الثوابت والمتغيرات

لا يشك أي متابع لواقع العمل الإسلامي في غضون السنوات العشر الأخيرة أن هناك تغيراً واضحاً في برمجة الأفكار، ومعطيات العمل، للعاملين في حقل الإسلام، في جانب الخطاب الإسلامي الإعلامي.

وهذا التغيير قد يكون من طرف طبيعياً نتيجة لتغير البيئة التي يعيشها الإسلاميون كغيرهم، وقد تكون حتمية نظراً لفرض الواقع، أو متطلبات العصر، أو وجود الجهة المعادية للعمل الإسلامي، أو الضيق الزاحف على رموز الإسلاميين وغير ذلك، مما يؤدي إلى التفكير الجاد في أمر التغيير.

الخطاب الإسلامي، والذي نعني به: الطريقة التي يتم من خلالها إيصال رسالة الإسلام لعموم الناس، أخذت حظها من هذا التغيير، سواء في طبيعة العاملين في الإسلام، أو في وسائل التعامل التي يخاطب بها أولئك الناس، في عالم يسمى: «عالم بلا حواجز»، كما يقول محمد فتحي.

فمنذ بضع سنين لم تكن في الساحة الإسلامية سوى آحاد المجلات وفي مجالات محدودة، واليوم وفي ظل التغير الكبير، والعولمة الواسعة أصبحت لدينا عشرات المجلات الإسلامية، والمتخصصة في قضايا تفيد عموم الناس دون الدعاة، قد لا توجد في غيرها من المجلات العامة والتي بلغت المئات في وسط الوطن العربي.

ولغة الطرح الفكري قبل بضع سنين كانت موجّهة إلى بعض المحاضرين القلة أو بعض الكتّاب المعروفين، والمعدودين على أصابع اليد، وليس هذا غريباً إذ إن الظروف السابقة تختلف بكل وضوح عن الظروف الحالية، بينما اليوم يمكنك أن تفتح موقع العشرات من الدعاة وطلبة العلم لتجد لهم الآراء الواسعة، والصفحات المطولة عن كل قضية تقذف بها أرحام المواقع! فما لدى الشيخ أو طالب العلم إلاَّ أن يأمر العاملين على موقعه أن يبحثوا له عن آخر الأخبار، ويضغطوا الزر على بعض النصوص التي يستحضر جزءاً منها في رأسه، ليخرج له الكمبيوتر نصوصاً حديثية كاملة، بل وبضغطة زر آخر يمكن للكمبيوتر أن يخرج له التخريجات المطولة من بطون كتب الحديث التي قد لا تجدها عند بعض فحول المحدِّثين! ثم بعد ذلك تجد مقالاً مطبوعاً منمقاً فيه آراء من أرض الواقع، واستدلالاً من نصوص الشرع، وهذا أمر واقع مشاهد، وليس هو انتقاصاً

لأحد، بل هو تطور علمي كبير يمكن الاستفادة منه، مع أهمية التلقي الصحيح، وحسن الاستنباط والفهم.

لكن ما هو العمق الحقيقي لهذا الخطاب، وما هو التحرّي والتجرد الذي فيه، وما هي الأسس والمنطلقات التي يريدون الوصول لها؟ هذا أمر آخر.

ونتيجة لتسارع الأحداث في الساحة الإسلامية على وجه الخصوص بما يتعلق بقضايا الأمة الكبيرة، أصبح العامل للإسلام كغيره من عموم الناس في قرية واحدة، ويسأل نفسه: هم يتكلمون، فلم لا أتكلم مثلهم؟ وهم يتحاورون ويُبدون آراءً خطيرة، فلم لا أشاركهم الرأي؟ ولأن أخانا هذا «العامل للإسلام» ليس لديه قنوات فضائية تتابع الأخبار أولاً بأول، أصبح من الضرورة بمكان إذن الحصول على هذه القنوات! هكذا وبكل سهولة هي أبجدية الخطاب الإسلامي الجديد لدى بعض العاملين للإسلام.

ولا نعني منع الاستفادة من بعض هذه القنوات، إنما المقصود السرعة الكبيرة لاقتنائها حتى لا يقال: إن الداعية الإسلامي متخلف عن عصره، غير عارف بواقعه!

ولأن المنظر الإنساني له أثره في حياة البشر، فيرى البعض أن تخفيف اللحية، وتطويل الثوب قليلاً، وسيلة من وسائل الوصول للناس، وإقناعهم للخير، فيثبت عندهم أن

اتباع هذه الأمور لون جديد مهم للخطاب الإسلامي المعاصر.

ولأن المشاركة في معترك الحياة شيء مهم للإسلاميين، فلا مانع حينئذٍ أن تجد بعضهم جالساً في مجلس تفوح منه رائحة الدخان وغيره!

ولأن المجتمع دخل عصر الحضارة الجديدة، وأعاد روح الحب الميتة منذ قرون بين جبال الأودية، وسهول القرى القديمة؛ فلذا لا غرو لديهم أن تتشكل بعض الفنون المصطبغة باسم الإسلام؛ كالأناشيد والأهازيج بالإيقاعات الموسيقية، والتي هي من صميم العمل الغنائي الموسيقي الفني المعروف.

ولأن كتف كثير من العلماء الشرعيين أصبح ضعيفاً، فقد قلّت قبول الفتاوى الشرعية منهم، وأصبح العالِم الجريء الذي يقول كلمة مدوية، هو الذي له القبول في أوساط العاملين للإسلام؛ بل وحتى عند غيرهم. ومن ثمّ فيرى هؤلاء أن قبول الفتوى الشرعية اليوم أصبح خاضعاً لنظام جديد، هو لغة الخطاب الذي يتكلم بها هذا العالِم، ونبرة حواره، وجراءته في كل قضية.

وهذه الشواهد والأخبار التي تطول وتطول في لغة الخطاب الإسلامي اليوم، دخلت دوائر متشابكة بين تأييد ومعارضة؛ بل وحتى أصبح فيها ولاء وبراء!

ولست هنا حاكماً على هؤلاء المؤيدين أو المعارضين، إنما غايتي أن أطرح هذه القضايا، لتدرس دراسة شرعية مقاصدية، وأن يتولى الحوار فيها أهل العلم والرأي والبصيرة، وأن يفهموا الواقع ويخبروه جيداً.

❋ ❋ ❋

منعطفات وإشكالات

لقد كان الأمر في أوله منعطفاً يسيراً، ويبدو أن هذا المنعطف اليوم أصبح خطيراً مما أدى إلى إشكالات واضحة في لغة الخطاب الإسلامي، سنبينها فيما يلي:

أولاً: «أحادية العمل وتعدديته»:

وهي الملحوظة البارزة في انطلاق كل داعية أو عامل للإسلام برأيه، وإسقاطه على الواقع العام ليقبل مَن يقبل ويرفض مَن يرفض.

وذلك في كثير من الأمور الإسلامية. فقد تجده متحدثاً عن فتوى فقهية معاصرة، وهو ليس من الدارسين للفقه الشرعي الحقيقي، وليس عارفاً بالأصول، ولا القواعد الفقهية، ولا اللغة العربية، ولا مدركاً لفقه المصالح والمفاسد، ولا مطلعاً على الآراء والمناقشات العلمية القديمة

والحديثة. وإذ به يقوم فيخاطب العامة في قضية شائكة في الساحة الإسلامية، ويقيم حجته والسلام!

ثم يكون الموافق لهذا الرأي والطرح العظيم! فينقل الكلام برمّته دون تمحيص، لتجد آثار هذا الرأي في بعض المجلات الإسلامية، والأشرطة المسموعة. وأنت تتعجب كيف تحل هذه الفتوى العجلى في كثير من وسائل الخطاب الإسلامي كالمجلات والأشرطة وغيرها...، ولو ناقشتهم عن حقيقة هذه الفتوى ومدى شرعيتها ومقاصدها لما أجابوك بشيء. حتى أني رأيت بعض الدعاة أصدر شريطاً كاملاً أصله من موقع للإنترنت، وحول هذا الموضوع كثير من المغالطات والمناقشات! وبالتالي يتناقل الدعاة الشريط وتصبح القضايا شبه مسلمة لديهم.

ولأن هناك طرفاً آخر لا يقبل هذه الفتوى المتشددة المتسرعة، ولا هذه الطريقة في الطرح، فإن المعارضة قائمة بقوة، منهم مَن يعلم عنها، ومنهم مَن لا يعلم عنها. ويأخذ الثاني بتفتيت رأي الأول، حتى يبغض الإسلاميون طريقة طرح الرأي الأول، وتصبح القضية: «خذ من الذي ترتاح منه»!

ثانياً: من إشكالات الخطاب الإسلامي المعاصر «تبني القضايا العامة»:

فقد تكون القضية المطروحة في أوساط أوروبا، فتجد

ملخصاً عنها وعن أبعاد القضية وفي غضون ساعات قليلة في الساحات الإسلامية في أوساط المشرق، دونما تريث وطول أناة وسؤال، وإدراك للحقائق، وتجرد، وتحرٍّ!

علماً أن أوضاع المغتربين في أوروبا غير أوضاع غيرهم، فحينئذٍ تتعجب ممن هو بعيد عنهم ولم يدرس حالهم. كيف يصدر فتوى سريعة وجريئة دون تثبت للحقائق، ومعرفة ملابسات القضايا؟ ثم حينئذٍ لا مانع من قول الحق، لأن الدين ليس له وطن محدد.

ومن صور أحادية العلم: التعددية في الطرح المكرر؛ فكم عدد الكتيبات التي تحدثت عن أذكار الصباح والمساء؟ وكم عدد الشروح المتقاربة في شرح الأربعين النووية؟ وكم عدد المجلات المتخصصة في موضوع واحد؟

إن التعددية مع التنوع ومحاولة استيعاب أكبر شريحة، ظاهرة صحية جيدة، ولكن التعددية المتكررة المحددة في نفس المكان، المنافسة في نفس الميدان، ظاهرة متعبة مستهلكة.

ولك أن تسمع عن صدور مجلة أو كتاب، في عشرات المجالس، وفي العديد من الوسائل الإعلامية المختلفة، فتتخزن في ذاكرتك المميزات والتطورات واللون الجديد،

الذي سيرى النور بعد فترة! وبعد الصور ما هي إلاَّ وريقات متكررة، منتشرة في وسط العالم العربي كله. فما هو الجديد فيها؟

وأذكر أنني اتصلت بإدارة إحدى المجلات بعد صدور أول عدد فيها وهي متخصصة في مجال معين، وقرأت فيها أنها أول مجلة متخصصة في كذا، وأضخم مجلة بحثية، وستكون بحوزة القراء في كل مكان، فأخبرتهم بوجود مجلة سبقتهم في نفس التخصص!، لكنهم لم يعلموا عنها، علماً أنها منتشرة، وموجودة منذ سنوات! ثم إن هذه المجلة الناشئة أضعف بكثير جداً ممن قبلها، حتى أنها تركت ساحات فارغة في بعض الصفحات، ووضعت عليها علامات استفهام، يقصدون بذلك «مَن سعيد الحظ الذي سيكتب لنا في هذا المكان؟!». أما كان الأولى بهم أن يدرسوا مَن سبقهم، ويعرفوا مَن نجح في مثل تخصصهم ممن كان قبلهم ليضيفوا شيئاً جديداً ومفيداً؟

ثالثاً: من إشكالات الخطاب الإسلامي المعاصر «قلة الالتفات للنص الشرعي»:

فالكثير والكثير من الإسلاميين لا يدرون لماذا هذا العالِم يبيحُ، ولماذا هذا العالِم يحرّم؟ ولماذا هذا العالِم يتساهل؟ ولماذا هذا العالم يتشدد؟ إنما الذي انبنى في فهمهم

أن الواقع يحتاج بعض النظرات الجديدة، ولطالما أن هناك قولاً لعالم معروف، فالأمر واسع إذن.

والأمر لو كان عند هذا الحد لكان هيناً، ولكن الإشكال أن هذا الفهم سينسحب إلى الكثير من مناحي الحياة المختلفة، التي يتم اتخاذ القرار فيها من قِبَل الداعية نفسه، دون الالتفات للنصوص الشرعية، وكم وجدنا مَن يرى جواز بعض الأمور؛ كالموسيقى، والنظر للمرأة، وتطويل الثوب، وغير ذلك...، ويجعله وسيلة للدخول في عامة الناس، وهو لم يكلف نفسه بحثاً أو مناقشة، أو نظراً لفقه المآلات، سوى أنه سمع مَن يخبره أن فلاناً أفتى بالجواز. ونحن هنا لا نناقش صحة الفتوى أو رفضها، إنما نناقش آلية قبول الفتوى التي تواكب التطور الجديد.

رابعاً: من إشكالية الخطاب الإسلامي الجديد «العجلة في الطرح»:

فالعاملون للإسلام المبادرون لطرح قضايا الساحة يرون أنهم المتبعون؛ وبمثل هذه النظرة الخاطفة، وبمثل هذا البريق اللامع، تنطلق طائفة من الإسلاميين للخوض بشكل جريء في قضايا كبرى، ومسلمات واضحة، مما يجعلك ترى تناقضاً في الطرح، وخللاً في الفهم، وعجلة في الرأي، واتهاماً في الحكم، وجراءة في القول... وما الله به عليم.

فقضية عن الوقف الإسلامي ودقائق مباحثه، أو الحرب وكثرة تفريعاته، تجد من الإسلاميين المتخصصين في قضايا الإعلام والصحافة مَن يناقشوها في المجلات أو الفضائيات! معتمدين على نصوص قرأوها قبل الكتابة أو التسجيل بأيام، أو مناقشات سريعة مع بعض طلبة العلم، أو اعتماداً على الذاكرة وفهم الواقع وقوة الإقناع والحجة!! ويجب علينا أن نقول: «إن هذا الأمر دين فانظر عمن تأخذون دينكم».

فنحن لا نحجر على غير المتخصص في علوم الشريعة أن يتكلم في قضايا إسلامية يحسن الحديث فيها، إنما يحزننا أن ينبري لقضايا الدين المهمة، والمسائل العظيمة، رجال من الإسلاميين ليس لديهم الكفاءة في الاستنباط أو حسن الاستدلال.

خامساً: من إشكالية الخطاب الإسلامي الجديد «الضحالة في العلم»:

فكم من المقالات، والخطب، واللقاءات، والمؤتمرات، ما يمثل فيها أصحابها بطريقة شوهاء، عوجاء، عرجاء. فلا اللغة العربية هي اللغة، ولا الفقه هو الفقه، ولا الحديث هو الحديث، ولا الأدب هو الأدب، وأمور يندى لها الجبين. وتستغرب كيف تطرح هذه القضايا غير المدروسة، والمتعمقة. كيف يحدث هذا؟ لا أدري.

لقد دخلنا في عصر لن يبقى فيه إلاَّ المحسن! فلم لا يتبنى الإسلاميون إقامة دورات تخصصية في الإلقاء، وفن التأثير، والخطابة، وأبجديات الكتابة، وفنون الخطاب الجماهيري، وطريقة إدارة اللقاءات والمؤتمرات العامة؟

لا يكفي أن يكتب واحد أو اثنان بعض الرسائل أو الكتيبات المنمقة، إذ إن هذه الأمور لا بدَّ لها من تدريب وتوجيه.

وأمانة الكلمة التي يتبنّاها الإسلاميون يجب أن تكون متقنة، فلم لا نفكر بجدية، وننظر بواقعية، ونسعى للتطوير العملي لتحسين أوضاعنا، وأن نكون صرحاء في طريقة عرضنا؟

سادساً: من إشكالات الخطاب الإسلامي المعاصر «الاندفاع»:

نعم، اندفاع سريع في المزاجية، والقناعة الفكرية، والآراء الشرعية، والتحليلات السياسية، والنظرات الشخصية، والردود الأخوية...، وقلة التروي والنظر الإيماني والتربوي، وقد يغيب عن بعض العاملين للإسلام هذا الأثر المرفوع للنبيّ ﷺ بين أعينهم: «**من علامة المؤمن أن يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس**».

وأين لفتات النبوة الأولى؟ «**يا علي، النظرة الأولى لك والثانية عليك**»، وأين الأثر: «رُبّ نظرة حرمت قراءة سورة، ورب أكلة حرمت قيام ليلة»!؟

وأين المنهجية العلمية القائمة على أصول الأحاديث التي يتعلمها صغار الطلبة فضلاً عن كبار الإسلاميين: «**فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**».

فماذا نفسر تساهل البعض بحجة أنهم إعلاميون إسلاميون، في غيابهم عن الصلوات في جماعة، والنظر للمرأة في الأخبار؟

وماذا نفسر الأعمال التي يقوم بها بعض الإسلاميين، من النوم عن بعض الصلوات المكتوبات: «كالفجر والعصر»، والتأخر عن صلاة الجمعة، وقلة قراءة القرآن، وندرة صلاة الليل، والشح في الذهاب للمحاضرات؟

ومن صور الاندفاع وجود نظرات ضيقة لا واسعة، وأفكار عن الإسلام خاصة لا شاملة. يتم تبني الكثير منها على أنها الإسلام، والإسلام منها براء أو هي أخذ لحديث دون آخر، ونظرة على رأي دون آخر، واستعجال في البناء مما يؤدي إلى نقض كثير من عراه حينئذٍ. والدين كلٌّ لا يتجزأ، ومتين لا ينهار. فما بال هؤلاء كلما عنّت لأحدهم قضية انبرى لها وبكى في خطابه لأجلها، وأزبد وأرعد،

وهي لا تمثل جوهر الإسلام ولا حقيقته، فيطالبك برأيه، ويلزمك بفهمه، والأمر في خطابه لا كما يتوهم ويتوقع! فالاندفاع، وقلة التروي، سبيل للتعميم الخاطئ، وتصور للعقل غير صحيح.

وكم رأينا ممن يحكمون على كثير بالتخلف أو الغفلة أو الجبن، أو قلة الخير، ويتوجه بهذا التصور في كلامه ودروسه للناس والدعاة!

سابعاً: من إشكالات الخطاب الإسلامي المعاصر «عدم الصراحة»:

لقد ملّ المجتمع الإسلامي والعربي على وجه الخصوص لغة التعتيم والتسكيت. الناس تحب الصراحة، والجراءة الحكيمة، والوضوح، والمكاشفة، والمناصحة الهادئة، والتجرد، والإخلاص. أما لغة الخطاب الإسلامي المتماشية مع الأوضاع، القائمة على حكمة الهدوء فقط، أمرٌ يحتاج إلى كبير نظر. ما المانع من قول الحق بهدوء وإنصاف؟ ما المانع من القول الواضح المتزن؟ لماذا يكون المهم هو من أمامك وكيف تخاطبه لكي لا تحرج، ولا يكون المهم ما الذي يرضي الله تعالى أولاً وأخيراً ثم النظر في أسلوب العرض المناسب؟

إننا نتهم أمتنا، ونحن من أكبر أسباب فشلها. ونحسن اللوم على أفراد المجتمع، والعاملين في حقل الدعوة، كتّاباً كانوا، أو متحدثين، أو سياسيين، أو إعلاميين، أو أي شيء آخر يمكن من خلاله بث الفكر الإسلامي، والرؤية الإسلامية، عن طريق كتابة عشرات الأسطر للوصول لرسالة واحدة هادفة ولكن بثوب نقدي لاذع!

لعل عدم الصراحة، والغثائية الكتابية أحد أهم أسباب عزوف الإسلاميين عن التعمق في قراءة كتب الفكر المعاصر، لدى بعض كبار رموز الإسلاميين.

علينا أن نقول: إن المنصف الواضح الصريح في خطابه هو ذلك الشخص المقبول في الساحة اليوم.

ثامناً: من إشكالات الخطاب الإسلامي المعاصر «روتينية العمل»:

فلا تزال طريقة العرض واحدة، يُراد طرحها على الجميع.

علماً أن الأساليب تطوّرت، والشخصيات تشكلت بالفكر المبثوث لها عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

لا بد من الوصول إلى الناس، وإبلاغ الخطاب الإسلامي لهم. ألم يكن الرسول ﷺ يذهب إلى القبائل

ليوصل لهم الخطاب الإسلامي؟ ألم يكلفه هذا من الوقت والجهد ما الله به عليم؟

ألم يكن يرسل الوفود بالرسائل والخطابات، ويتابع هذا بنفسه، ويتأكد من العبارات المكتوبة الواردة إليه؟

لقد أصبحت هذه الوسائل القديمة التي تكلف الجهد والوقت ميسرة في زماننا؟ والذهاب للقبائل اليوم هو بتلك القنوات الفضائية، والصحف السيارة، والمطويات، والأشرطة والإنترنت، بالطرق الموصلة للهدف.

يجب أن نقول: إن الكثير مما يعرض في وسائل الإعلام غثاء مدمّر، لكن يجب كذلك أن نقول: إن بعض البرامج الإسلامية بخطابها الجديد المؤثر سبب من أسباب النجاح والتقدم والتغيير لدى البعض. وهذا هو الخطاب الإعلامي، رسالة تصل للعقل والقلب، والميدان هو الذي يحكم ويبث ما يشاء.

ونحن هنا لا نغفل صلاحية الوسائل، أي: أن تكون شرعية، وأن لا يصبح التكلف ديدناً.

ولعل هذا الأمر هو أحد أهم أسباب نجاح بعض الإسلاميين اليوم في أشرطتهم وبرامجهم التلفازية، وحضورهم الجماهيري الكبير، وهذا الذي نريد.

تاسعاً: من إشكاليات الخطاب الإسلامي «القول دون العمل»:

فكم هي اللقاءات والمؤتمرات والحوارات التي دامت ساعات طوال، وأنفقت لأجلها أموال ضخام. أين نتائجها، أين ثمارها؟ إن السبب في هذا الأمر هو التنشئة التربوية الخاطئة في نفوس هؤلاء العاملين، مما سبَّب لها ركوداً في العطاء، وتبلداً في نتائج القرار، وصمتاً وسكوتاً عن الواقع، وصدّق أو لا تصدّق، أن تكون لقاءات واجتماعات بعض ـ إن لم يكن جلّ العاملين الإسلاميين ـ لا تتخذ حيّز الصرامة المعتدلة في بعض شؤونها، ولا أدري كيف تؤول معنى الحديث الوارد في صفات المنافقين والتي منها إخلاف الوعد؟ سواءً أكان وعد وقت، أو وعد طلب. لماذا لا نجر هذا الحديث على واقعنا، وقرارات اجتماعاتنا، وطلبات مؤتمراتنا، لماذا؟ ولماذا؟ ولماذا؟

عاشراً: من إشكاليات الخطاب الإسلامي المعاصر «الهلامية»:

فهو في النهاية إما تمثيل، أو مخالفة للواقع، أو تشبع بما لم تعط، أو أي شيء سمه إن شئت.

فلغة الخطاب التي تسمعها توضح لك التطورات، والتخطيط الدائم، والبناء الفعَّال، والقرب من الإنجاز!!

والحقيقة لا تتجاوز (٥ ـ ١٠ ٪) من طبيعة ما يُقال! لماذا لا نكون واقعيين، واضحين؟

نعرف أين نحن؟ وماذا يُراد منا، ونعبِّر عن أنفسنا بصدق؟ لأننا لو كنّا كذلك فسنضيف إلى رصيدنا خبرةً، وتطوراً، وتحسناً، وكسباً للطرف الآخر. وإن كنّا نريد أن نصور غير الحقيقة، فإنا سنخسر المجتمع، لكوننا لم نحقق ما نقول ولن نستطيع المواجهة، لأننا في الحقيقة لا نملك ما نقول.

حادي عشر: من إشكاليات الخطاب الإسلامي المعاصر «الاتجاه صوب النقد فقط»:

جميلٌ هو تبادل النقد المبني على العلم، والرغبة في الإصلاح، ولكن هذا النقد له أصوله، وطرق طرحه، والمكان المناسب لطرحه. وهو ليس تفريغ شحنات فقط! إنما الحديث عن قضايا الإسلام يحتاج إلى صبرٍ، وطول إناة، وتفكير وتغيير، وعمل. إن الزج بالكلام، والنقد فقط، وترك دائرة العمل الإسلامي هو أيسر حل للعامل. ولكن الصبر، والجلد، والمحاولة تلو المحاولة، وحسن العرض، لهو من أهم أسباب النجاح.

وإن لم يكن إلاَّ الأسنة مركب فما حيلة المضطر إلى ركوبها

فلا ضير حينئذٍ من «التأسيس من تحت» على حد قول الأمير شكيب أرسلان. فلتعد الصياغة والبناء من جديد، لا أن تكون القضية مجرد نقد، وأن تكون نظرية: الذي يريد أن يعمل فليعمل، والذي لا يريد فليقل بلّغت ووفيت وجزاني الله خيراً!

لا، ليس هذا هو العمل الإسلامي المطلوب؛ بل هذا هو أيسر سبيل، وأقصر طريق للخروج من دائرة البناء، والغرس الحقيقي. إن علينا أن نستفيد من النقد لنبني، ونعمل، لا أن نصغي لنقف.

ثاني عشر: من إشكاليات الخطاب الإسلامي المعاصر «عدم الإتقان»:

نعم، وبكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى؛ فلا نريد أن تكون خطبنا متحرمة، ومحاضراتنا ذات جهد قوي. ولا نريد أحياناً أن تكون مقالاتنا، وطروحاتنا الفكرية، وتعبيراتنا محل تقدير وإشادة.

الأمة التي علَّمها رسولها ﷺ: «**إذا عمل أحدكم عملاً فليتقنه**». أصبحت تقدم عملاً غير متقن تماماً في عدد من أعمالها؛ بل هي اجتهادات من هنا وهناك وعقد للقاءات طويلة؛ ليذهب المتخصص في سلك الإعلام للعمل الإسلامي في المجال التوعوي مثلاً! علماً أن من أبجديات

التخطيط السليم أن هذا الفرد «العامل للإسلام» قد بذل جزءاً من عمره تجاوز الخمس سنوات في هذا المجال. فعلام لا يتجه إليه بعد ذلك؟ لماذا تصبح القضية في يد أفراد يجتهدون فقط، يبدعون شهراً، ويتعثرون في آخر. بل إنني أعرف مَن يهتم بمجال الإعلام الإسلامي وهو له أهل عبر مجلة دورية متميزة، ولديه من الأعمال سبع لجان خيرية، إضافة إلى عمله هذا في مجال الخطاب الإسلامي الإعلامي!!

أما يمكن أن نطبق ما يقوله المثل الشعبي: «اعطي الخباز خبزه ولو أكل نصفه»؟

ثالث عشر: من الإشكاليات الخطيرة للخطاب الإسلامي المعاصر «التعدي»:

فهي إشكالية خطيرة حقاً؛ فلا زالت نفوس بعض العاملين للإسلام تحترق من داخلها لوجود أي خطاب إسلامي منافس؛ فإن لم يكن خطاب هذه الفئة هو الرائج فإن القهر يستبد بالبعض؛ فلا ترى إلاَّ صور الانتقاص والتعدي. لا يمكن أن يخطر ببالهم أن يكونوا سبباً لإنجاح الطرف الآخر؛ فأحدهم: يعترض على عنوان الدرس! وآخر: يعترض على شكل غلاف الكتاب! وثالث: يشكك في مقدرة المتحدث، ورابع: يقلل من شأن الخطبة أو المحاضرة أو

الكلمة!! وهكذا يستمر هذا المسلسل النكد في تهوين الخطاب الإسلامي غير المرغوب فيه لديهم، ونسي هؤلاء أو تناسوا أنهم ينقمون بهذا على أنفسهم، وما بدأ بقدر، فسيمضي بقدر.

لماذا لا نعتبر أنفسنا سبباً رئيسياً في إنجاح مسيرة الأمة، لماذا لا نتغافل على أقل تقدير من أجل مصلحة العامة؟

لماذا هذه الأنانية، والاحتكار المبطن للآراء والأعمال؟

علام لا تتسع صدورنا لكل كلمة يدعى فيها إلى الخير، ولو من أجل الأوراق أو الكلمات التي فيها اسم الله تعالى؟!

لماذا نضيف إلى رصيد همومنا هماً لا قيمة له أصلاً، ولا مكان لوجوده ابتداءً، أما علم أولئك أن هذا هو سبيل إهدار الحسنات بالحسد؟

وقفات وتأملات:

تلك ثلاثة عشر إشكالية ومنعطف في مسيرة الخطاب الإسلامي المعاصر، وهي ورقة عمل، ونقاط بحث، مددنا فيها جسور التخطيط والخبرة والواقع، فمن سيمد إلينا جسور التحليل والبناء وبداية العمل؟

الخوف السلبي في حياة الإسلاميين

كل الذي نخشاه في حياة الإسلاميين: أن تتحول أعمالهم الدعوية الواضحة أحياناً إلى ردود أفعال غير نابعة من القناعات الحقيقية الذاتية، أو التصورات الشرعية، وذلك نتيجة لقراءة سطحية للواقع، أو وراثة خاطئة لطبيعة الأعمال.

و(الخوف) في حياة الإسلاميين هو من الظواهر الموروثة التي تلقوها مباشرة من غيرهم دون تمحيص أو معرفة لأسباب هذا الخوف. علماً بأن هذا الخوف قد يكون له موقعه الصحيح في النفس لفترة محدودة، بسبب ظرفٍ معين، أو نتيجةَ توقعِ أمرٍ ما، فإذا ما زالت هذه الأسباب فلا داعي للخوف حينئذٍ.

إننا نرى أن العمل الدعوي يتعثر لفترات طويلة نتيجة للهيبة الزائدة عن الحد الطبيعي، والرهبة من إطلاق العنان

للعقل للتفكير في مسارات أخرى للانطلاق في الأعمال الدعوية، أو التخوف من ردود فعل أخرى، الله أعلم بصحتها.

خذ مثلاً يا أخي بعض الأعمال الدعوية؛ كالمحاضرات، والندوات والدورات وغير ذلك، لقد كان التهيب منها كبيراً! والخوض فيها خطيراً! وكان الاتصال ببعض الرموز الذين برعوا وبرزوا في مجالات معينة في الدعوة محرماً! بل حتى السلام عليهم كان محظوراً!

وحين استطاع فريق من الدعاة الخروج من الصندوق الأسود الوهمي، والتخلص من قيود الخوف السلبيّ، أقدمَ أحدهم على إقامة دورات تدريبية لكثير من الرموز الفكرية والدعوية والعلمية، واستطاع إقناع كبرى المؤسسات والشركات بتبنّي هذه الدورات، وتلقَّى بذلك الدعم الكافي لرعايتها، وفتَحَ المكان المناسب لإقامتها.

وها نحن اليوم نجدُ ثمراتِ أمثال هذه اللقاءات، وننظر إلى ذلك التخوف السابق نظرة المتعجب! ونتساءل: أين التخوّف الكبير من استضافة أمثال هؤلاء البارزين؟ ولماذا النظرة السوداء وتوقع رفض أصحاب الشركات والمنتديات والمسارح لاستضافة أمثال هؤلاء العاملين؟ وأيضاً... ألم تحضر هذه اللقاءات شريحة كبيرة من غير مجتمع الإسلاميين أفادت واستفادت؟

أليس الذي نقوله واقعاً، وقد تقدمت الدعوة بسببه خطوات قادمة للأمام ولسنين طوال؟

أوَليس قد تمَّ الاتصال المباشر بأمثال هؤلاء البارزين، للاستفادة من خبراتهم وآرائهم في لقاءات خاصة على طاولة الطعام في فترات الغداء والعشاء وفترات الراحة؟ فما الذي يمنعُ من تعميم الاستفادة منهم؟

ثم يا أخي؛ افترضْ جدلاً أنَّ أمثال هذه الدورات قد تتوقف بعد فترةٍ يسيرة، ما المشكلة في هذا؟ سيكون لدينا إلى ذلك الوقتِ رصيدٌ جيدٌ من الدورات، نُقلت من خلالها خبراتٌ جيدةٌ لجمع من المحاضرين يمكنهم نقل فحواها للآخرين؟

ثم لنعلم أنه لم يعد الدعاة غافلين عن الواقع، ولا منغلقين عن المجتمع في برجٍ عاجي، إنهم يعرفون التسلل لمجتمع الناس عبر عناوين جذّابة برّاقة لمحاضراتهم ودوراتهم، وما هم بمنأى عما يدور في خلد الذين يتربصون مواقف الشبه ويتلمّسون المزالق! فلكل حدث حديث، ولكل قول مكان. فما يصح أن يُكتب ويُنشر فليكن للخاصة في كتاب، وما كان صالحاً للعامة بل وحتى للخاصة من أفكار تربوية وإدارية، فليكن على الهواء مباشرة.

ثم يا أخي، أليس الخاصة كالعامة؟ أليسوا أناساً مثلهم

لهم مشكلات مع أنفسهم وأهليهم وأولادهم وزملائهم؟ إذن هم بحاجة إلى الوعي التربوي والإداري والنفسي أكثر من غيرهم، فلماذا يحرِّمون التفكير والدعوة إلى مثل هذه الأعمال؟!

ومن أهم وأبرز الأسباب التي تدعو إلى الخوف: توقع الإسلاميين أن يسلَّط عليهم الضوء الأسود فيوضعوا بعد ذلك في القائمة السوداء! ما هذا التخريب المبكر للعقول؟ وما هذا الاستباق للأحداث؟!

عجباً حقاً!

عن أي شيء يا أخي ستكتب؟! وعن أي شيء ستتحدث؟!

نعم، لو كنت ستكتب في أفكار الدول، وشأن الرؤساء والوزراء، وسياسات الشعوب القديمة والحديثة، لقلت لك: أمسك عليك هذا وليسعك بيتك. ولو كنت تتحدث عن الحوادث والمصائب وتدعو إلى المقاومة بتهور، لحفَّظتك الكلمات النبوية: «**مَن صمت نجا**».

إنني أتعجب حقاً من بعض الكتّاب، يبدأ أحدهم مقاله باسم مستعار، وما في كلماته إلاّ الدعوة للخير والصلاح! بل أتعجب من أن يكتب أحدهم في صفحة أدبية مقطوعة تربوية شعرية ويضعها باسم مستعار! ثم إذا انتشرت هذه القصيدة لجمالها وروعتها، أو إذا صورت صفحة ذلك المقال بالمئات

لحسن سبك كاتبه وقوة عباراته وروعة نقولاته، بدأ صاحبنا المتخوِّف ذو الاسم المستعار بالتعريف باسمه! وتمنى لو سطر اسمه فوق المقال لا في أسفله! علماً أن هذا الأخ وأمثاله قد اقتنى من مكتبة مدينتِهِ مئاتِ الكتب الدعوية والتربوية والإدارية المصرّحة، وفيها ما هو أقوى مما كتب بعشرات المرّات.

يا أخي، إن تخوّفك هذا حرمك وحرمنا خيراً كثيراً، فكم كان شباب الدعوة سيتفاعلون لو أنهم عرفوا أنّ الكاتب قريب منهم، فزاد النقاش وأُثري الحوار، وأصبحت كتاباتنا وحواراتنا ذات مغزى عميق في تحريك العاملين نحو الأهداف الإسلامية المنشودة، ما دمنا لا نقول إلاَّ ما هو مقبول.

وثمة نمط سلبي يعيشه كثير من الإسلاميين، ألا وهو التخوّف من نشر الأشرطة والكتب والرسائل لبعض الدعاة الذين اقتنع بفكرهم النيّر وهدفهم الإسلامي الحق. فيخشى إن أهدى نسخاً من كتبهم أو أشرطتهم أنّ يصنَّف! أو يحسب على التيار الفلاني! وعجيب هذا الأمر. إذا لم تنشر للدعاة الذين عرفت صدق توجههم، وصفاء فكرهم، ونبل هدفهم، فلمن تنشر إذن؟! أو يقول هؤلاء علماً من غير الكتاب والسنّة؟! إنك بهذا تزيد الخرق على الراقع، وتكبر الهوة التي يعيشها الفكر الإسلامي اليوم مع أنصاف المتعلمين.

إن نشر الفكر اليوم هو من أعظم وسائل جمع الحسنات، وتسويقُ الأفكار يجب أن يكون هاجساً للإسلاميين. يا أخي ـ أصدقك القول ـ: إن الساعة قريب، والعمر قصير. فقدّم شيئاً بعد اقتناعك به، وأرجوك أن تخرج للنظرة الإيجابية في قضية نشر الفكر الإسلامي المطلوب عن طريق الكتب والرسائل والمجلات والأشرطة. اخرج من دائرة الإيحاء السلبي إلى الجانب الإيجابي. ألم يقل النبيّ ﷺ: «**من دلَّ على هدى فله مثل أجر صاحبه لا ينقص من أجره شيئاً**»؟ ألم يقل ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**»؟

فعندما تقوم بنشر شريط، ويقوم آخر بنشر رسالة، وثالث بتوزيع مجلة، ورابع بإهداء كتاب، فإننا سنلحظ تجمعاً لأفكارنا في المكان الواحد.

وأعود فأقول: لننظر مرة أخرى للجانب الإيجابي، أوَليس هذا النشر لما مضى هو من الحسنات التي تسجل لك يوم القيامة؟ أوَليس هؤلاء المفكرون الإسلاميون الذين تنشر لهم، هم من خير مَن تعلم؟ إذن ما الذي يمنعك من التقدم للآخرة؟ مَن؟ أخبرني! إيه يا رجل الدعوة ما هكذا عهدتك، ولا على هذا وضعت يدي في يدك، أوَلسنا نقرأ قول ربنا: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾؟

ويمتد بك الحزن والأسى أكثر عندما ترى بعض الإسلاميين يتخوّف من الدعوة والإعلان عن بعض اللجان الدعوية أو الخيرية، ويقف كاتم الأنفاس، بارد الإحساس عند ذكرها في المجامع العامة، لأن هذه اللجنة عُرف عند البعض أنها تتبع لكذا أو كذا...، وهو يعرف أنها ادعاءات ومعوقات، فما الذي يمنعك عن البوح بوجوب دعمها والمشاركة في أنشطتها؟ أهو الخجل؟ أم خوف التصنيف؟ ألم يقل لك ربك: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾؟ فأين تضعُ قعودك عن ذكرِ هذه المؤسسة بالخير، وعدمَ دفاعِك عنها؟ أتجدُ له مكاناً في الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر؟! أم هو داخلٌ في حد التعاون على الإثم والعدوان؟

ومما يحسب على كثير من الإسلاميين خوفهم من المستقبل الوهمي المجهول، فأحدهم لا يمكن أن يتبنى مشروعاً لئلا يُصاب بالإحباط، ولا يمكن أن يسوق لمجلة لأنها لا يمكن أن تقبل في الأوساط العامة والخاصة، ولكنه بعد فترة قصيرة أو طويلة ما إن يرى أن أفكاره بنفسها وبحذافيرها طرحت من طوائف أُخرى حتى يبدأ بالعمل! ولكن يا حبيبي قد كسب غيرك السبق، وتنبه الآن لنيتك هل هي للدعوة أم للمنافسة؟ وأنا لا أريد أن أدعو للتهيب الكبير من الأمر، لا، ولكن أريد أن تكون البداية صحيحة، ولا

يفهم من كلامي أن نتوقف، إنما هو تصحيح البدايات، فنحن لا زلنا أيها الإخوة دعاة إلى الله.

ومن أعجب العجب: أن البعض لم يرغب في نشر بعض المجلات الإسلامية بحجة أن المجتمع العام لا يقبل الصور، وهناك فئات إسلامية ترفض الصور. وبعد فترة أصبح هؤلاء الذين توقّع هذا الأخ أن هذه المجلات ستُرفض من قبلهم، يقومون بأنفسهم بنشر مجلاتٍ مصورةٍ تعدُّ مجلةُ أخينا إلى جوارها محافظة في جانب الصور!!

يا سيدي الكريم، أهي دعوة أم ماذا؟! إن سوق الدنيا سوق مفتوح، يستقبل ما لذَّ وطاب، فقم أنت بنشر رسالتك وغيرك سينشر ولن يقف، وما كان خالصاً صالحاً سيبقى. ثم لماذا تنظر للنجاح من منظور الآخرين المنافسين؟ أترجو النفع والقبول من الله أم من غيره؟ إذا كان من الله فابدأ، والصادق سيثبت، سواءٌ أنت أم غيرك. ثم لماذا لا تفكر أصلاً في نجاح الآخرين الذين ينافسونك في عملك الدعوي؟ أليست غايتك الله والدار الآخرة؟ إذن اعمل واجتهد وخطط، وما كان لله سيتولاه الله.

ومن الخوف الموهوم في حياة كبار الإسلاميين، تصغير بعض الدعاة من حيث لا يشعرون، فلا يسمح للبعض خوفاً من الرياء أن يحاضر أو يتحدث في بعض المجالس أو يقابل بعض الناس، أو...!!!

وقد يكون هذا الداعية حاضَرَ في مئات الناس، وخطب في آلاف البشر، وكتب في العديد من المجلات لعشرات الآلاف من القرّاء. فبالله لو كان منطق الرياء هو القائم فأيهما أولى بالرياء؟ جلسته مع عشرة، أو كتابته وخطابته للآلاف؟! وأيّ الأمرين أقرب إلى عدم الاستساغة: حديثه لعشرة فيهم مَن فيهم، أم خطابته في آلاف من الناس فيهم الكبير والصغير، والداعية والمربي، والشيخ والأستاذ، والمثقف والعامي، والسياسي والإعلامي..؟

إننا بهذه الطريقة نصغّر عقولَ الدعاة، ونربّي فيهم عدم الثقة بإخوانهم الأخيار. علماً أن هذا الداعية الصغير في نظرهم، قد قابل مَن هم أعلى مكاناً، وأرفع قدراً من هؤلاء الحاضرين، ولكن كما قلت: هو وراثة الخوف في حياة الإسلاميين، والله المستعان.

وإذا لم تتم المبادرة في احتوائهم، وتشجيعهم، وتربيتهم، فإنهم سيتحولون إلى أصحاب العيش المخملي، أو إلى أصحاب الخطاب الثوري!

فإما تنتصر الدعوة، وإما أن تتحسر مع (العَرجي) وهو يقول:

سأترك جيرة جاروا وأشدوا أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا
إذا لم يُرْعَ لي أدبٌ وباس فلا طالَ الحسامُ ولا اليراعُ
لقدْ باعتْني الأقوامُ بخساً وعهدي بالذخائر لا تُباعُ

ومن الجرأة أن نقول: إنَّ خطأً فادحاً يقع فيه بعض الإسلاميين هو الخوف من الدخول في الأعمال الدعوية الكبيرة، كبعض اللجان والمؤسسات ذات الطابع الإسلامي خشيةَ أن تُغلق بعد فترة! ولهذا الحساب شأن آخر. فهم يرون غيرهم منذ عشرات السنين بدأوا وما زالوا يعملون في هذه اللجان ولم تقف بعد. ثم لنفترض أن بعض هذه اللجان أوقفت، فكان ماذا؟ أوَلم تعش هذه اللجان سنين طويلة، جُمع فيها من الأموال، وبني فيها من المعاهد والمدارس والمساجد ما خدم الدعوة في تلك المرحلة، وتقدمت الدَّعوة بسبب كل ذلك خطوات وخطوات إلى الأمام؟

ثم إننا لا ندعو إلى أن تسخَّر جميع الطاقات المادية والبشرية لبناء هذه المؤسسات، بل يكفينا القليل الذي تبدأ به المشاريعُ ثم يكون رقيّها وتقدمها مع الأيام بإذن الله. ولهذا فإنّ علينا أن نعلم الدعاة فن إنشاء المؤسسات وأسس عملها وبقائها بإذن الله.

إن الإسلاميين اليوم بحاجة إلى التفكير الجاد مرّة أخرى في موضوع الخوف السلبي الذي يحجب عن العمل والمبادرة، والذي يصادم التقدم الملموس في الواقع، والتجارب المستمرة الحيّة. إننا بحاجة إلى فن المحاورة والمفاوضة مع بعض الإسلاميين الذين ورثوا حاجز الخوف من غيرهم. إننا بحاجة إلى دراسة موضوعية وفتح آفاق

جديدة في ظل العولمة الجديدة والانفتاحية الواضحة.

وإنّ عليكم معاشر الإخوة الدعاة أن لا تخوضوا في بعض الأعمال الدعوية دون استنارة أو استشارة، فسلامة الصدر، وكسب القلوب أولى من كسب المواقف، والدعوة تحتاج إلى صبر ومصابرة، ونيَّة المؤمن أبلغ من عمله، ولئن أُغلق باب، فهناك أبواب أخرى.

أخي الداعية: تعلم وتعلم، فما كل إخوانك أوتوا ما أوتيت، ولا يصح أن تلزمهم بما اختصر لك الوقت في فهمه، فحاول أن تقنع إخوانك، ثم تبدأ العمل. واعلم بأنك من غير إخوانك نكسة في حياتنا.

ليست مشكلتنا أننا لم ننطلق فقط، إنما مشكلتنا أننا لم نتفاهم جيداً.

إنه لن يستطيع أحد أن يحصر أفكارك أو يحصد همومك أو يصادر آراءك. وإذا كان مزمار الحي لا يطرب ـ كما يقال ـ أفليس الأولى بكلمات الداعية الصادقة، ونيّته الخالصة، وأفكاره الصالحة، وخططه الناضجة، وتوقعاته الثاقبة، أن تطرب قلوب الآخرين؟! نرجو ذلك. ولنتلُ جميعاً قول ربنا: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

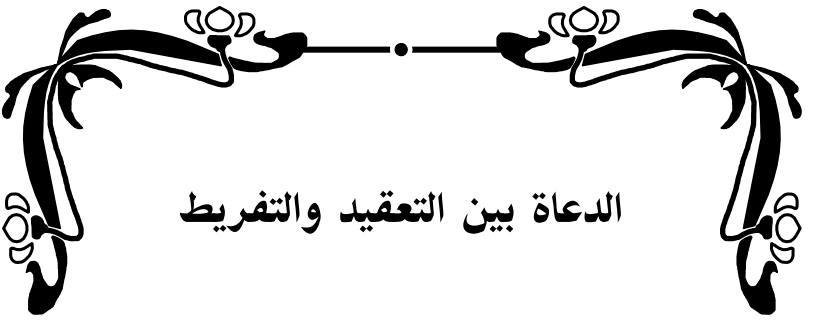

الدعاة بين التعقيد والتفريط

لو سُئل أي إنسان مسلم بسيط عن صفات الداعية لأجابك: بأن من أهم صفاته: التيسير، والرفق، والقدوة الطيبة!

ولو سُئل أحد الدعاة عن هذه الصفات لربما قال لك: يحتاج هذا الموضوع إلى عدد من المحاضرات والندوات!! وهذا والله لا عن مبالغة، بل عن معايشة حقيقية لواقع كثير من الدعاة الذين يريدون أن يثبتوا لك أنّ المجمع عليه يحتاج إلى طويل تفصيل.

إذ لا يكاد أحد من المسلمين البسطاء فضلاً عن الدعاة الواعين، والمتمرسين بفقه الدعوة يشك في أنّ من أهم صفات الداعية: التيسير، والرفق، والقدوة الحسنة. ولكن المعايشَ للعديد من أشكال العمل الدعوي وعلى جميع مستوياته يلحظ بوضوح نسيانَ هذه الصفات المجمع عليها من خلال التطبيق الواقعي، وذلك عبر جانبين من جوانب

الخلل في سلوك الداعية إزاء هذه الأعمال الدعوية، وهذان الجانبان هما: جانبا التعقيد والتفريط.

أولاً جانب التعقيد:

معلومٌ أن الدعوة مبنية على منهج التيسير والرفق والرحمة، إلاَّ أننا نلحظ التفنن في صفة التعقيد إلى درجة حصول بعض الدعاة على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف في فنونها وأساليبها!!

فمن صور التعقيد لدى الداعية:

١ ـ تعقيد البرامج الدعوية التي بناها على نظريات إدارية غربية، لا بد أن يتدرج العمل من خلالها وإلا لصارت كارثة، وهذه النظريات عند التحقيق لا تعين على التيسير؛ بل هي سبيل إلى التعقيد والتعسير.

٢ ـ تعقيد المسألة الواحدة وجعلها قضية القضايا، فمعاملة أو مسألة تحتاج إلى مجرد رأي أو مشورة يستهلك فيها هذا الداعية وقتاً طويلاً، ويعمد إلى استشارة للغير لا داعي لها أصلاً، حتى تموت القضية في مهدها وييأس منها صاحبها، ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾.

٣ ـ خلق كثير من العقبات والمشكلات أمام أي فكرة

مطروحة، والزعمُ بأنَّ مناقشتها واستمرارية بقائها بحاجة إلى أوراق وحوارات ولقاءات ومؤتمرات وأموال! وحتى تنجح الفكرة عليه أن يتذكر: (عليك ليل طويل فارقد)!

٤ ـ التهويل والتعظيم والتفخيم؛ لدرجة أن السامع للرأي يتوقع أن الفكرة أو القضية الدعوية المطروحة من قبله لن تنجح إلاَّ بـ (كن فيكون).

٥ ـ تنويع أساليب التعقيد على مسألة بسيطة، فمرة الأمر يحتاج إلى تأكد، ومرة يحتاج الأمر إلى تأكيد، ومرة يحتاج الأمر إلى خطاب موافقة، ومرة يحتاج الأمر إلى استشارة، ومرة يحتاج الأمر إلى استخارة، ومرة يحتاج الأمر بعد هذا كله إلى تفكيييييير!!!

٦ ـ حُبُّ (المرمطة)، (لوِّن الورقة، حَبِّر الشكل، غيِّر (الكليشة)، نَوِّع الخطوط)، ثم اترك الخطاب، وعد إليّ بعد أسبوع!

٧ ـ مسألة التنسيق بين بعض الشخصيات لكي تنتهي هذه القضية الدعوية، والتي هي على شاكلة التنسيق لاجتماعات القمة العربية!

٨ ـ الالتفات إلى الأخطاء الصغيرة في العمل، والوقوف عندها، والسعي غير العادي لإصلاحها، وهذا حسن،

ولكن المشكلة في جعل الصغيرة محكاً ومنعطفاً خطيراً لا يمكن التغاضي عنه، والتغافل عن أنّ هناك أموراً أهم منها بحاجة إلى تعجيل، وسرعة اتخاذ قرار، حتى لا تفوت الفرص في خضمّ المحاولة الجادة لإنهاء المشكلة الصغيرة، خاصة وأنها لا تعيق العمل ولا تشوهه، وليس لها كبير أثر، وهي أولاً وآخراً خطأ غير مقصود!

٩ ـ افتئات قلة الثقة، وأن العمل لا بد له من كتابة عدة أوراق، وتصوير عشر مستندات، علماً أن ورقة واحدة واضحة تكفي!

١٠ ـ تأخير إنجاز العمل الدعوي بحجة تربية الطرف الآخر على عدم الوقوع في خطأ ما، وهذا من قبيل اختراع اللاموجود في القوانين واللوائح والنظم.

١١ ـ تخلي منسوبي الإدارة الدعوية أو بعضهم عن المسؤولية، وادعاء أن الموضوع ليس بيدهم، وأن اتخاذ القرار ليس بمقدورهم، والحقيقة أنّ جهداً قليلاً منهم ينهي كثيراً من العقبات وضياع الأوقات.

١٢ ـ الاستسلام لقرصنة العرف الإداري الخاص الذي يميت روح العمل، ويخفض قيمة الإنتاج، بسبب هذه النظم الوضعية.

١٣ ـ الدخول في الغارات والكهوف المظلمة، فلا يُدرى عن الفكرة أو القضية الدعوية أين هي، وعند مَن؟ وماذا حصل لها؟ وذلك ليعلم سبب التأخير، أو ـ كما يحدث كثيراً ـ سبب الإهمال.

١٤ ـ استحباب إنشاء لجان فرعية لحل القضية الدعوية، على حين أنّ الأمر ميسور جداً ولا يتحمل إهدار هذه الطاقات، والإجماع الدعوي يقول بكراهة مثل هذه اللجان!!

١٥ ـ إضفاء صفة (اللاهوية) على صاحب القرار فإذا قال قولاً فلا تنبغي المراجعة ولا المناقشة! وبالتالي فإن خبرته وعلمه اللامحدود هو الصواب المحض، والأمر ربما يكون بحاجة إلى شيء من تأمل يزيل اللبس ليس إلاّ!!

١٦ ـ إبراز افتراضات (وهمية) لا حقيقة لها، كالقول بأن هذه المسألة أو الفكرة أو القضية الدعوية قد تحتاج إلى وقت نظراً لاحتمالات كذا وكذا، وتوقعات كذا وكذا، وما ستوصي به لجان كذا وكذا. وأمثال ذلك!

هذه صور متعددة لنظم وأشكال التعقيد التي يتقمصها وللأسف بعض الدعاة في أعمالهم الدعوية.

وأسباب تعقيد الأعمال الدعوية كثيرة:

١ ـ عقلية بعض الدعاة التي تربت في بيئة معينة.

٢ ـ عدم تطوير معطيات العمل المؤسسي الجديد بما يتواءم مع التقدّم الإنسانيّ المطرد.

٣ ـ عدم إدراك أن الجيل الصغير قد يتطور تطوراً غير مسبوق في عالم اليوم، نظراً لوجود مسارات جديدة ومنفتحة للتعلم والاستفادة لم يدركها الإداري الدعوي القديم.

٤ ـ الركون إلى التربية الإدارية الوضعية المروضة، والتي ليست وحياً منزلاً.

٥ ـ نسيان صفة الرفق والتيسير التي لا تجوز مفارقتها في حياة الداعية ومنهجه.

٦ ـ محاولة بعض الدعاةِ تدارك الأخطاء في محيطه البيئي أو المؤسسي، مما يجعله يجنح إلى التعقيد مراعاة لجانب تربية هؤلاء المخطئين على أسس الإدارة الصحيحة، ولكنه نسي بأن أسلوب التعقيد هو لون من التربية الإدارية الخاطئة كذلك!!

٧ ـ غروره بملكاتِهِ العقلية أو الميدانية مما يجعله يجزم بصحة قراراته دوماً، أو غروره بمنصبه ومكانته!

سائلاً المولى أن يرزقنا البصيرة في ديننا ودنيانا.

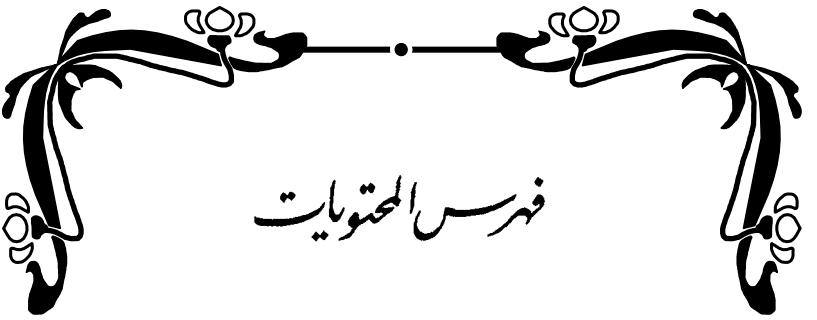

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٧
حُلُمٌ في لندن!	٩
نحن مرجع تزكية العقائد!!	١٢
مَن يُعرّف البيانات؟!	١٧
خازوق الفقيه! (الاستبداد بالاستدلال)	٢١
من مجازفات الصحوة المخاطرة بالألقاب العلمية	٣١
الدنيا ليست ملعونة!	٤٠
بين الكليات والمنفيات	٤٤
بين التفاهم والتفاعل	٤٨
ماذا تعني لك هذه الأرقام؟	٥١
متى تموت الشعوب؟	٥٥
فكرتان مغبون فيهما كثير من الدعاة!	٥٩
مشاريع القراءة	٦٤
مَن الأهبل؟!	٦٩
مَن يوجه البوصلة؟	٧٣
نلوم مَن؟	٧٦
مغتربون في بلادنا	٧٩

الموضوع	الصفحة
الهزة النفسية	٨٥
Mbc إسلامية	٨٩
الحاكمية بين الإسلاميين والديمقراطيين	٩١
الشافعي على CNN!	٩٤
أرجو أن أكون مليونيراً!	٩٨
دفني وأدفك	١٠٢
شراء الإنسان!	١٠٥
أين الفقهاء في صناعة المصطلحات؟	١٠٩
أيها الأقوياء... قليل من الملح	١١٤
(فولتارين داعية)!	١١٧
حاجتنا إلى الهدوء	١٢١
مشروع بلا مشروع... وحل بلا حل	١٢٤
(مجالس الفانشنج!!)	١٢٧
من عيوب الدعاة (١) اصطحاب العتاب	١٣٧
من عيوب الدعاة (٢) تعليب المشاريع	١٤٢
من عيوب الدعاة (٣) خطباء لا يخطبون!!	١٤٧
من عيوب الدعاة (٤) المنبر المخطوف	١٥١
من عيوب الدعاة (٥) اليد السفلى!	١٥٥
الوجه الثاني للمشايخ!	١٦١
الخطاب الإسلامي بين الثوابت والمتغيرات	١٦٥
الخوف السلبي في حياة الإسلاميين	١٨٥
الدعاة بين التعقيد والتفريط	١٩٦
فهرس المحتويات	٢٠٣

❋ ❋ ❋